ويتكون من تمهيد وخمسة مباحث :

التمهيد وفيه : تعريف الحـــال والمقــــام ، لغة واصطلاحاً 0

المبحـث الأول : جهود علماء السلف في القــرن الثامن الهجري تجاه المحبــــة ، عند الصوفية 0

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القــرن الثامن الهجري
تجاه الخوف والرجاء ، عند الصوفية 0

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القــرن الثامن الهجري تجاه الفقـــر ، عند الصوفية 0

المبحث الرابع : جهود علماء السـلف في القـرن الثامن الهجري تجاه التوكـــل ، عند الصوفية 0

المبحث الخــامس : جهــود علمــاء الســلف في القـــرن الثـــامن الهجـــري تجـــاه الزهـــد ، عند الصوفية 0

التمهيد : تعريف الحـــــــال والمقـــــــام ، لغة واصطلاحـــاً 0

أولاً : تعريف الحال ، لغة واصطلاحاً 0

أ- الحال لغـــة:

« حلَّ المكان ، وبه يَحُلُّ 000نزل به ، كاحْـتـَـلّـَهُ ، وبه فهو حال »[1] 0 والحـال : « ما عليه الإنسـان من خـير أو شر »[2] 0

ب- الحال اصطلاحـاً :

---

[1] - القاموس المحيط ، ص 1274 ، (باب اللام) 0

[2] - منحة الجليل بتحقيق شـرح ابن عقيل ، محمد محي الـدين عبد الحميد ، ط4 ، (عـام 1384هـ) ، 1/ 625

« معنى يرد على القلب من غير تصنع ، ولا اجتلاب ولا اكتساب»[1]

وعرفه ابن عربي أنه : « ما يــرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب »[2]

ثانياً : تعريف المقام ، لغة واصطلاحاً 0

أ- المقام لغة : « موضــع القدمين »[3]

ب- المقام اصطلاحــاً :

« عبارة عما يوصل إليه بنوع تصرف »[4]

وعرفه ابن عربي والكاشاني أنه : « عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام »[5] 0

فالأحوال والمقامات ، من المصطلحات التي درج الصوفية على ذكرها ، في أقـوالهم ومؤلفـاتهم ، وبـالرغم من شـهرتها لـديهم ؛ إلا أنهم لم يتفقـوا على عـددها [6] ، كما أنها قد تتـداخل فيما بينها ، فما يـذكره أحد الصـوفية من المقامــــات ، يــــذكره آخر من الأحـــــوال ، فقد عد الطوسي الخــوف والرجـاء من الأحــول[7] ، بينما ذكرهما السهر وردي من المقامات[8] 0

وقد أشار السهر وردي إلى هذا التداخل والاختلاف ، فقـال : «قد كـثر اشـتباه بين الحـال والمقـام ، لمكـان تشابهما في نفسهما وتداخلهما ، فـتراءى للبعض الشـيء حـالاً ، وتـراءى للبعض مقامـاً ، وكلا الرؤيـتين صـحيح ، لوجـــود تـــداخلهما ، 000على أن اللفظ والعبـــارة عنهما مشـعر بـالفرق ، فالحـال سـمي حـالاً لتحوله ، والمقـام مقاماً لثبوته واستقراره ، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً »[9] 0

وقد نالت الأحوال و المقامات عند الصوفية ، عناية السلف في المناقشة والرد على ما يخـرج منها عن إطـار

---

1 - التعريفات ، ص 85
2 - اصطلاحات الصوفية ، ص 9 ، وانظر : معجم اصطلاحات الصوفية ، ص 81
3 - المعجم الوسيط ، 2/ 768، باب(القاف)
4 - التعريفات ، ص 244
5 - معجم اصطلاحات الصوفية ، ص 107
6 - انظر: اللمع ، ص65 ، وقوت القلوب، 1/178 ، والإحياء ، 4/3، و 4/ 309 ،وعوارف المعارف ، ص 423
7 - اللمع ، ص 89-91
8 - عوارف المعارف ، ص 448-449
9 - عوارف المعارف ، ص 423

الشــريعة ، لما لهــذه الأحــوال والمقامــات من مســاس بصحة العقيدة 0

وقد اســتدل ابن مفلح على أهمية الأحــوال والمقامات ، بقول شيخ الإسلام : « عمل القلب كالصــبر والتوكل والخــوف والرجــاء ، وما يتبع ذلك واجب باتفــاق الأئمة الأربعة»[1]

إلا أن الشاطبي قد أعاب ما أحدثه الصوفية ، من الاســتدلال بالمقامــات ، فقــال : « وأضــعف هــؤلاء -أهل البــدع - احتجاجــاً ، قــوم اســتندوا في أخذ الأعمــال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها »[2] 0

المبحث الأول : جهود علماء الســلف في القــرن الثامن الهجري تجاه المحبــة عند الصوفية 0

المطلب الأول : المحبة عند الصوفية 0

كــثر كلام الصــوفية عن المحبة ، واختلفــوا في تصنيفها ، هل هي حال أم مقام ؟ 0

فعدها الطوسي والسهر وردي من الأحوال[3] بينما عدها المكي من المقامات[4] 0

والمحبة عند الصوفية ، لها أحوال ثلاثة :

فالحال الأول من المحبة : محبة العامة ، ويتولد ذلك من إحســـــان الله تعــــالى إليهم وعطفه عليهم ، وشرطها : صفاء الود مع دوام الذكر 0

---

[1] - الفروع ـ 2/223
[2] - الاعتصام ـ 1/211، وانظر : البداية والنهاية ـ 13/343
[3] - اللمع ، ص 86 ـ و عوارف المعارف ـ ص 454
[4] - قوت القلوب ـ 1/178

والحـال الثـاني من المحبة : محبة الصـادقين والمتحققين : وهي تتولد من نظر القلب ، إلى غنـــاء الله وجلاله وعظمته وعلمه وقدرته ، وهو حب الصـــــــادقين والمتحققين ، وشـرطها هتك الأسـتار ، وكشف الأسـرار، قـال عنها إبـراهيم الخـواص : محو الإرادات ، واحـتراق الصفات والحاجات 0

وأما الحـال الثـالث من المحبة : محبة الصـدّيقين والعارفين ، تولدت من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله تعالى بلا عله ، فكذلك أحبوه بلا علة[1] 0

وسئل الجنيد عن المحبة ، فقال : « دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب »[2]

وقال أبو عبد الله القرشي : « حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ، فلا يبقى لك منك شيء »[3]

وقال الداراني[4]: « إن من خلق الله خلقـاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه ، فكيف يشتغلون عنه بالدنيا »[5]

وقالت رابعة العدوية[6] : « ما عبدته خوفاً من ناره ، ولا حباً لجنتـه، فـأكون كـالأجير السـوء ، بل عبدته حبـاً له وشوقاً إليه ، وقالت في ذلك شعراً :

أحبك حبين حــب الهوى وحباً لأنك أهـــل لذاكا
فأما الــذي هو حـب الهــوى فشــغلي بــذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهـل لـه فكشفك لي الحجب حتىأراكا

---

[1] - اللمع ، ص 86-87 " بتصرف يسير"
[2] - القشيرية ، ص 321 ، وعوارف المعارف ، ص 457 ، وهذا القول فيه إشارة للفناء 0 (انظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسـلامية تـأليف أبو عبد العزيز إدريس محمـود إدريس ، ط1 ، الريـاض : مكتبة المؤيد ، 1419هـــ ، ص 306) 0
[3] -القشيرية ، ص 321 ، وهذا القول مثل سابقة 0
[4] - أبو سليمان عبد الـرحمن بن عطية ، ويقـال : عبد الـرحمن بن أحمد بن عطية ، وهو من أهل داريّا ، قرية من قرى دمشق ، مات سنة خمس عشرة ومائتين هـ 0 (طبقات الصوفية ، ص 75)
[5] - الإحياء ، 4/ 313
[6] - القيســية ثم المصـرية ، رأس العابـدات ، كـانت في عصر الحسن البصــري 0 (صــفوة الصفوة ، ص 4/23 والكواكب الدرية، 1/200) 0

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا[1]

وقال البسطامي:« 000أهل المحبة محجوبون بمحبتهم»[2]

وزعموا أن :«المحبة أخذ القلب وخطفه عند كشف نـور الجمـال وقـدس الجلال والشـرب : مـزج الأوصـاف بالأوصاف ، والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعوت بالنعوت ، والأفعال الأفعال »[3] 0

المطلب الثـاني : جهـود علمـاء السـلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه المحبة عند الصوفية 0

محبة الله واجبة على كل مسلم ، وهي جزء من أصول العبـادة ، كما ذكر ذلك ابن رجب ، عنـدما قـال : « وقد عُلم أن العبادة إنما تبـنى على ثلاثة أصـول : الخـوف والرجــاء والمحبة ، وكل منها فــرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم واجب ، فلهـذا كـان السـلف يـذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخرين 0
فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشــدد في الخــوف، والإعــراض عن المحبة والرجــاء ، 000وبدع كثير من أهل الإباحية والحلول ممن ينسب إلى

---

[1] - الإحياء ، 4/328
[2] - كشف المحجوب ، ص 318
[3] - إيقاظ الهمم ، ص 155

التعبد ، نشأت من إفراد المحبة ، والإعـراض عن الخـوف والرجاء »[1]

إلى أن قال : « وقد كثر في المتأخرين المنتسبين إلى السـلوك ، تجريد الكلام في المحبة وتوسـيع القـول فيها ، بما لا يساوي على الحقيقة مثقـال حبة ، إذ هو عـار عن الاستدلال بالكتـاب والسـنة ، وخـال من ذكر كلام من سـلف من سـلف الأمة ، وأعيـان الأئمة ، وإنما هو مجـرد دعــاوى قد تشــرف بأصــحابها على مهــاوي ، وربما استشـهدوا بأشـعار عشـاق الصـور ، وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر »[2]

وقال ابن مفلح : « قال أحمد بن القاسم سمعت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - ورجل يسأله من أهل الشـام - رجل غريب - فذكر أن ابن أبي الحواري وقومـاً يتكلمـون بكلام قد وضعوه في كتاب ، ويتذاكرونه بينهم 0

فقال : ما هو ؟

قال : يقولون : المحبة لله أفضل من الطاعـات ، وموضع الحب درجة كـذا ، فلم يدعه أبو عبد الله يسـتتم كلامه ، وقال : هذا ليس من كلام العلماء ، لا تلتفت إلى من قـال هذا ، وأنكر ذلك وكرهــه»[3]

وقال ابن رجب : « محبة الله تعالى على درجتين :

إحـداهما واجبة : وهي المحبة الـتي تـوجب للعبد محبة ما يحبه الله من الواجبات ، وكراهة ما يكرهه من المحرمات ، 000ومـتى أخل العبد ببعض الواجبـات ، وارتكب بعض المحرمات ، فمحبته لربه غير تامة»[4]

الدرجة الثانية :

« درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة من محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعــات ،وكراهة ما يكرهه من دقـائق المكروهـات ، إلى الرضـاء بما قـدره

---

[1] - استنشـاق نسـيم الإنس ـ ص 18-21ـ وانظر : التخويف من النـار والتعريف بحـال أهل البـوار للحافظ أبي الفـرج زين الـدين عبد الـرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، مراجعة وتعليق محمد حسن الحمصي ، ط2 ـ (دمشق ـ بيروت : دار الرشيد ـ 1404 هـ)، ص 30 ـ ونزهة الأسماع في مسألة السماع ـ تصنيف الحافظ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ـ تحقيق الوليد بن عبد الرحمن الفريان ـ ط1 ـ الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1407هـ ، ص 91

[2] - استنشاق نسيم الإنس ، ص 21-22

[3] - الآداب الشرعية ـ 2/82

[4] - اختيار الأولى ، ص 96-97 ـ وانظر : استنشاق نسيم الإنس ـ ص31

ويقضيه ، مما يـألم النفـوس من المصـيبات ، وهـذا فضل مستحب مندوب إليه »[1] 0

وقد بيّن ابن القيم الأسباب الجالبة لمحبة الله - تعـالى - والموجبة لها ، فقـال : « قـراءة القـرآن بالتـدبر والفهم لمعانيه ، وما أريد به 0 والتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض 0 ودوام ذكـره على كل حـال 0 إيثـار محابه على محابك عند غلبـان الهـوي 0 مطالعة القلب لأسـمائه وصـفاته ومشـاهدتها ومعرفتها 0 مشـاهدة بـره وإحسـانه وآلائه 0 انكســـار القلب بكليته بين يـــدي الله تعـــالى 0 الخلـــــوة وقت الـــــنزول الإلهي 0 مجالسة المحـــــبين والصـادقين 0 مباعـدة كل سـبب يحـول بين القلب وبين الله -عز وجل - »0 [2]

هذه الأسباب الجالبة لمحبة الله - جل شأنه - والتي من خلالها ينال المرء ثـواب الـدنيا ، والفـوز يـوم العـرض الأكبر ، لا محبة الصوفية، التي لا تستند إلى دليل ، وتؤدي إلى بعض الانحرافات العقدية والشرعية 0

المبحث الثاني: جهود علماء السـلف في القـرن الثامن الهجري ، تجاه الخوف والرجاء، عند الصوفية 0

المطلب الأول : الخوف والرجاء، عند الصوفية

1 - استنشاق نسيم الإنس ، ص 35
2 - مدارج السالكين ، 3/ 17-18

اعتـبر بعض الصـوفية الخـوف والرجـاء من المقامات[3] ، بينما عدهما آخرون من الأحوال [4]

ويذهب بعض الصـوفية إلى الاسـتخفاف بـالخوف والرجاء ، إلى درجة تجعله لا يبالي بما أعـده الله - تعـالى ذكر - من العـــــذاب الأليم أو النعيم المقيم ، ولا بغضب جبار السموات والأراضين ، ولا سعة رحمة رب العلمين 0

قالت رابعة العدوية : « ما عبدته خوفاً من ناره ، وحباً لجنته»[3]

وقال الواسطي : « إذا ظهر الحق على السرائر ، لا يبقى فيها فضله ، لرجاء ولا لخوف »[4]

وجاء عن رابعة : « ذات يوم ، رأى جماعة من الأصحاب رابعة في إحدى يديها نار ، وفي الأخرى مـاء ، وهي تعـدو مسـرعة ، فسـألوها : أيتها السـيدة إلى أين أنت ذاهبة ؟ وما تبتغين؟

فقالت: أنا ذاهبة إلى السماء ، كي ألقي بالنار في الجنة ، وأصب الماء على الجحيم ، فلا تبقى هذه ولا تلك ، ويظهر المقصـود ، فينظر العبـاد إلى الله دون رجـاء ومن غـير خـوف ، ويعبدونه على هـذا النحو : فلا طمع في جـزاء أو خـوف من عقـاب ، ذلك أنه لو لم يكن ثمة رجـاء الجنة وخوف الجحيم ، أفكانوا يعبدون الحق ويطيعونه »[5] 0

وقال أبو يزيد البسـطامي : « الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة000»[6]

---

[3] - قوت القلوب ، 1/178 ، وعوارف المعارف ، ص 448-449
[4] - اللمع ، ص 89-91
[3] - الإحياء ، 4/328
[4] -الرسالة القشيرية ، ص 128
[5] - الصـــوفية في نظر الإســـلام ، ص 269-270، نقلاً عن منـــاقب العـــارفين للأفلاكي (بالفارسية)
[6] - كشف المحجوب ، ص318

المطلب الثـاني : جهـود علمـاء السـلف ، في القـرن الثـامن ، تجـاه الخـوف والرجـاء ، عند الصوفية 0

الخوف والرجاء ، منزلتان عظيمتان ، في الطريق الموصل إلى رضا الله -جلا شـأنه - والسـلامة من عذابه وسـخطه ، وهما ككفـتي المـيزان ، لا ينبغي أن تغلب إحداهما الأخرى بشكل دائم 0

ولهذا المعـنى أشـار ابن رجب حين بيّن أن : « العبـادة إنما تبـنى على ثلاثة أصـول : الخـوف والرجـاء والمحبة ، وكل منها فـرض لازم ، والجمع بين الثلاثة حتم 000»[1]

وبيّن ابن أبي العز : « أنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عـذاب ربه ، راجيـاً رحمته ، وأن الخـوف والرجـاء بمنزلة الجنـاحين للعبد في سـيره إلى الله تعـالى والـدار الآخرة »[2]

وذكر الشاطبي أن الخوف والرجـاء ، يسـهلان الصـعب على المـؤمن ، بقوله : « فـإن الخـوف والرجـاء يسهلان الصعب ، فإن الخائف من الأسد يسهل عليه تعب الفـرار ، والـراجي لنيل مرغوبه يقصر عليه الطويل من المسافات »[3]

وشدد ابن رجب على أن من تزل قدمه في منزلتي الخوف والرجاء ، سيكون شبيهاً بالفرق الضـالة ، فقـال : « فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حـدثت من التشـدد في الخوف والإعراض عن المحبة ، وبدع المرجئة نشـأت من التعلق بالرجاء وحده ، والإعـراض عن الخـوف ، وبـدع كثـير من أهل الإباحية والحلـول ممن ينتسب إلى التعبد

---

1 - استنشاق نسيم الإنس ، ص 18-21

2 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 791

3 - الموافقات ، 2/406

نشأت من إفراد المحبة ، والإعـراض عن الخـوف الرجـاء »[1]

ولهذا قال ابن أبي العز : « يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً ، فإن الخوف المحمود والصـادق ما حـال بين صاحبه وبين محارم الله ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط. والرجاء المحمود : رجـاء رجل عمل بطاعة الله على نــور من الله فهو راج لثوابه ، أو رجل أذنب ذنبــاً ثم تاب منه إلى الله فهو راج لمغفرته ، قال ـ تعـالى ـــ :] إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهـدوا في سـبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم[، [البقرة : 218]0

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا ، ويرجو رحمة الله بلا عمل ، فهذا الغرور والتمـني الكـاذب »[2]

ويجب الجمع بين الرجاء والخوف ؛ لأن كلاً منهما مستلزم للآخـر. « فالرجـاء يسـتلزم الخـوف ، ولـولا ذلك لكان أمنـاً ، والخـوف يسـتلزم الرجـاء ، ولـولا ذلك لكـان قنوطــاً ويأســاً ، وكل أحد إذا خفته هــربت منــه. إلا الله تعالى فإنك إذا خفته هربت إليه ، فالخائف هـارب من ربه إلى ربه»[3]

وقال ابن رجب عن الخوف والرجاء : « فأما الخوف والرجـاء ، فـأكثر السـلف على أنهما يسـتويان ، لا يـرجح أحدهما على الآخر »[4]

وفند ابن رجب زعم بعض الصوفية ، عدم خوفهم من النـار ، أو رجـاء الجنة ، بقوله : « 000وبقي ههنا أمر آخر ، وهو أن يقال : ما أعده الله في جهنم من أنواع العــذاب المتعلق بــالأمور المخلوقة ، لا يخافها العــارفون ، كما أن ما أعـده الله في الجنة من أنــواع النعيم المتعلق بـالأمور المخلوقة لا يحبه العــــارفون ولا يطلبونه ، وهــــذا أيضـــاً غلــط. والنصوص الدالة على خلافه ، كثيرة جداً وظـاهرة ، وهو أيضـــاً منـــاقض لما جبل عليه الخلق من محبة ما يلائمهم ، وكراهة ما ينافرهم ، وإنما صدر مثل هـذا الكلام

---

[1] - استنشاق نسيم الإنس ـ 20-21 ـ وانظر: التخويف من النار ، ص 30
[2] - شرح العقيدة الطحاوية ـ ص 456
[3] - شرح العقيدة الطحاوية ـ ص 457 ـ وانظر: الموافقات ، 4/400
[4] - التخويف من النار ـ ص 31

، ممن يصدر منه في حال ، سكره واصطلامه واستغراقه وغيبة عقله»[1]

وذكر ابن أبي العز ،خطأ من ظن أن الرجاء أضعف منازل السائرين إلى الحق - تبارك اسمه - ، فقال : « قال صاحب " منازل السائرين " - رحمه الله - الرجاء أضعف منازل المريد[2] ، وفي كلامه نظر ؛ بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد»[3] 0

وقال ابن القيم معلقاً على قول الهروي : إن الرجاء أضعف منازل السائرين : « شيخ الإسلام حبيب إلينا ، والحق أحب إلينا منه ، وكل من عدا المعصوم -- ، فمأخوذ من قوله ومتروك ، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ، ثم نبين ما فيه : أما قوله : " الرجاء أضعف منازل المريدين " ، فيعني بالنسبة إلى ما فوقه من المنازل ؛ كمنزلة المعرفة والمحبة والإخلاص ، والصدق والتوكل ؛ لأن مراده ضعف حال هذه المنزلة في نفسها ، وإنها منزلة ناقصة »[4] 0

وبيّن ابن رجب القدر الواجب من الخوف ، لأن بعض الناس قد أفرط في ذلك[5] ، فقال : « القدر الواجب من الخوف ، ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم ، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات ، والانكفاء عن دقائق المكروهات ، والتبسط في فضول المباحات ، كان ذلك فضلاً محموداً ، فإن تزايد على ذلك بأن أورث مرضاً أو موتاً أوهماً لازماً بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله - عز وجل - ، لم يكن محموداً ، ولهذا كان السلف يخافون على عطاء السلمي ، من شدة خوفه الذي أنساه القرآن[6] ، وصار صاحب فراش ، وهذا لأن خوف العقاب ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو سوط يساق به المتواني عن الطاعة إليها ، ومن

---

[1] - التخويف من النار ، ص 32
[2] - انظر: مدارج السالكين ، 2/38
[3] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 458
[4] - مدارج السالكين ، 2/ 38-39
[5] - ذكر الذهبي في السير أن : « عطاء السلمي نسي القرآن من الخوف ، ويقول : التمسوا لي أحاديث الرخص ليخف ما بي » [6/86]
[6] - انظر السير ، 6/86

هنا كانت النار من جملة نعم الله على عباده الذين خافوه واتقوه 000»[1] 0

المبحث الثالث : جهود علماء السلف في القــرن الثامن الهجري تجاه ، الفقــر[2] عند الصوفية 0

المطلب الأول : الفقر عند الصوفية 0

يقرر بعض الصوفية ، أن الفقر مقـام ، ويـرون أن الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين ، ومبلّغ إلى الغايات ، وكرامة لأهل الولاية ، وأنه شــــعار الصــــالحين ودأب المتقين [3]

قال بشر بن الحارث : « أفضل المقامات ، اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر »[4]

وقال مظفر القرمسيني : « الفقير هو الـذي لا يكون له إلى الله تعالى حاجة »[5]

وذكر الغزالي أن المرتبة العليا في الفقر : « أن يكون بحيث لو أتـاه المـال لكرهه وتـأذى منه وهـرب من أخذه مبغضاً له »[6]

وعرفوا الفقير أنه : « 000الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب »[7]

وقرر الغزالي فضيلة الفقر مطلقاً ، وفضيلة الفقير على الغني [8]

---

[1] - التخويف من النار ، ص 34

[2] - الفقر لغة : ضد الغنى 0 واصـطلاحاً - عند الصـوفية - : عبـارة عن فقد ما يحتـاج إليه ، وأما فقد ما لا يحتـاج إليه فلا يســمى فقــراً 0 (لســان العــرب ، 5/ـ 60 بــاب (الــراء) و التعريفات ، ص 175)

[3] - انظر : اللمع ، ص 74 ، وعوارف المعارف ، 446

[4] - القشيرية ، 274

[5] - القشيرية ، ص 277 ، سبحان الله !! ومَنْ مِنْ الخلق لا يكون له إلى الله حاجة ، ومن يستغني عن الخالق طرفة عين أو أقل من ذلك أو أكثر ؟

[6] -الإحياء ، 4/ 202

[7] - الرسالة القشيرية ، ص 277

[8] - الإحياء ، 4/ 202

وقـال : « اعلم أن النـاس قد اختلفـوا في هـذا 000والأكـثرون إلى تفضـيل الفقر »[1] ، وبيّن أن مـراده من الفقر هو : « الفقر من المال على الخصوص »[2]

وقال أبو بكر بن طاهر[3] : « من حكم الفقير ، أن لا يكون له رغبة»[4] 0

المطلب الثـاني : جهـود علمـاء السـلف ، في القرن الثامن ، تجاه الفقر، عند الصوفية 0

الفقر أحد مقامات الصوفية ، درجوا على تفضيله مطلقاً ، دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى ، ونصوا على أن الفضيلة متعلقة بالفقر لا بغيره ، إلا أن علماء السـلف في القـرن الثـامن الهجـري ، لهم موقف ورأي مخـالف لذلك ، تجلت فيهما أصالتهم المنهجية والعلمية 0

وقد فصل القول في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن يتميه تفصيلاً شـافياً ، إذ ذكر روايـتين لـذلك أحـدهما : إن الفقير الصابر أفضل 0
والأخرى : إن الغني الشاكر أفضل 0
وبيّن رأيه في المسألة بقوله : « وفي المسألة قول ثالث : وهو الصواب أنه ليس هذا أفضل مطلقاً ، ولا هذا أفضل من هـذا مطلقاً ؛ بل أفضلهما أتقاهما 0
كما قـال تعـالى:] 000إن أكـرمكم عند الله أتقـاكم 000[[الحجرات : 13الآية][5]

---

1 - الإحياء ، 4/205
2 - الإحياء ، 4/ 202
3 - أبو بكر عبد الله بن طـاهر الأبهـري ، من كبـار مشـايخ الجبل ، من أقـران الشـبلي0 (طبقات الشعراني ، 1/112)
4 - عوارف المعارف ، ص 446
5 - الفتاوى ، 11/122-123

فبيّن رحمه الله : أن الأفضلية ليست متعلقة بالفقر ، ولا بالغنى ، وإنما متعلقة بمن هما حاله 0

ثم قال : « والنصوص الواردة في الكتاب والسنة حاكمة بالقسط ، فـإن الله في القـرآن لم يفضل أحـداً ، بفقر ولا غنى ، كما لم يفضل أحداً بصحة ولا مـرض 000 بل قـال :]000 إن أكـرمكم عند الله أتقـاكم000[، وفضلهم بالأعمال الصالحة »[1]

وقال ابن مفلح في الفقر :« لا يلزم الرضا بمرض ، وفقر وعاهة»[2] ؛ لأن ذلك مما لم نتعبد به إلى الله 0

وقد بيّن المسألة وفصل النزاع فيها ، ابن أبي العز ، وكـان رأيه فيها مقاربـاً لـرأي شـيخ الإسـلام ابن تيميه ، فقال : « أكرم المؤمنين هو الأطوع لله ، والأتبع للقرآن ، وهو الأتقى ، والأتقى هو الأكـرم ، قـال تعـالى :] 000إن أكـرمكم عنـد الله أتقـاكم000 [، وبهـذا الـدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر ، والغني الشاكر ، وترجيح أحدهما على الآخر ، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغـنى ، وإنما يرجع إلى الأعمـال و الأحوال والحقـائق ، فالمسـالة فاسـدة في نفسـها ، فـإن التفضـيل عند الله بـالتقوى وحقـائق الإيمـان ، لا بفقر ولا غنى 0

والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده ، كما قال تعـــالى :] فأما الإنســـان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن [، [الفجر: 15] 0

فإن استوى الفقير الصابر والغني الشاكر في التقــوى ، اســتويا في الدرجة ، وإن فضل أحــدهما فيها ، فهو الأفضل عند الله ، فإن الفقر والغنى لا يوزنان ، وإنما يوزن الصبر والشكر »[3]

وقال شيخ الإسلام : « وقد تنازع الناس أيهما أفضل : الفقــير الصــابر ، أو الغــني الشــاكر ؟ والصــحيح : أن أفضـلهما أتقاهما ، فـإن اسـتويا في التقـوى ،اسـتويا في الدرجة »[4] 0

ومع ادعاء بعض الصوفية بأفضلية الفقر على الغنى ، فإن بعضهم يملك أموالاً طائلة ، ولا يطبقون ما يقولـون

[1] - الفتاوى ، 11/125
[2] - الفروع ، 2/223
[3] - شرح العقيدة الطحاوية ، 510-511
[4] - الفتاوى ، 11/21

، فقد ذكر الذهبي أنه: « كان في خدمة أبي حفص - الصوفي - شاب يلزم السكوت ، فسأله الجنيد عنه 0 فقال : هذا أنفق علينا مئة ألف ، واستدان مئة ألف ، ما سألني مسألة إجلالاً لي»[1]

فهل بعد ذلك دعوى لتفضيل الفقر -عند الصوفية - على الغنى، إلا من هذا الوجه ، والضحك على من يحسنون بهم الظن ، من محبي الخير 0

المبحث الرابع : جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه،التوكل عند الصوفية 0

المطلب الأول : التوكل عند الصوفية 0

يعد الصوفية التوكل أحد مقاماتهم ، ولهذا نال عنايتهم في بيان ما يسوغ منه وما لا يسوغ - من وجه نظرهم - 0

قال سري السقطي : « التوكل الانخلاع من الحول والقوة »[2]

وذكر الغزالي ثلاث درجات للتوكل ، فقال في الدرجة الثالثة : « وهي أعلاها ؛ أن يكون بين يدي الله تعالى ، في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل ، لا يفارقه إلا أنه يرى نفسه ميتاً ، تحركه القدرة الأزلية ، كما تحرك يد الغاسل الميت»،إلى أن قال : « وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والسؤال منه !»[3]

---

1 - السير ، 12/512
2 -التعرف ، ص 118
3 - الإحياء ، 4/ 278

وقال سهل بن عبد الله عن التوكل : « التوكل وجه كله ليس له قفا، ولا يصح إلا لأهل المقابر !!» [1]

وسئل ذو النون المصري[2] عن التوكل ، فقال : « خلع الأرباب وقطع الأسباب »

وعلق الغزالي على هذا بقوله : « فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد ، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال »[3]

وقال أبو طالب المكي[4] : « قيل لبعض علمائنا ما التوكل ، فقال: التبري من الحول والقوة »[5]

ويعلل بعض الصوفية لجوءهم إلى ترك الأسباب - وظنهم أن ذلك من التوكل - إلى ما قد كتب في اللـــــوح المحفوظ ، من أرزاق العباد، وأنه لا ينقص من ذلك شيء سواءً عملوا أم لم يعملوا [6]

وقال أحدهم[7] : « إني لأستحي من الله تعالى ، أن أدخل البادية وأنا شبعان ، وقد اعتقـدت التوكل لئلا يكـون سعيي على الشبع زاداً أتزود بـــه»[8]

وقال أبو علي الروذباري[9] : « إذا قال الفقير بعد خمسة أيـام أنا جـائع ، فـألزموه السـوق ، ومـروه بالعمل والكسب »[10]

وقال السهروردي : « اختلف أحوال الصوفية في الوقوف مع الأسباب والأعراض عن الأسـباب ، فمنهم من كان على الفتوح لا يركن إلى معلوم ، ولا يتسبب بكسب ولا سؤال»[11]

---

[1] - اللمع ، ص 79

[2] - ذو النـون إبـراهيم المصـري أبو الفيض ، ويقـال: ثوبـان بن إبـراهيم ، وذو النـون لقب ، ويقال: أبو الفيض بن إبراهيم ، توفي سنة 245هـ 0 (طبقات الصوفية ، ص 15016) 0

[3] - الإحياء ، 4/281

[4] - عمرو بن عثمان بن كرب ، وكنيته: أبو عبد الله ، كـان ينتسب إلى الجنيد في الصـحبة ، وهو عالم بعلوم الأصول ، مات ببغداد سنة 291هـ (طبقات الصوفية ، ص 200-201)

[5] - قوت القلوب ، 2/6

[6] - انظر: قوت القلوب 2/7

[7] - القائل : أبو حمزة الصوفي0 (القشيرية ص 167)

[8] - الرسالة القشيرية ، ص167

[9] - أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور ابن شـهريار بن مهـرذاذاز بن فرغـدد بن كسـرى ، من أهل بغداد ، سـكن مصر وصـار شـيخها ، مـات به ، صـحب أبا القاسم الجنيد والنـوري ، توفي سنة 322هـ 0(طبقات الصوفية ، ص 354-355)

[10] - القشيرية ، ص 169

[11] - عوارف المعارف ، 136

« وحكي عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول : إذا عــرّج المريد على الأســباب بعد ثلاثة أيــام ، فالعمل في المكاسب ودخول السوق أولى به»[1]

المطلب الثــاني : جهــود علمــاء الســلف ، في القـــرن الثـــامن الهجـــري، تجـــاه التوكل عند الصوفية 0

وقع بعض الصوفية في منزلق خطير في مفهوم التوكل ، وظنوا أن التوكل مناف للأسـباب الـتي هيئها الله لعبـاده ، ولـذلك رأوا أن اتخـاذ الأسـباب قـدح في عقيـدة التوكل ، ومن هــذا الفهم الخــاطئ ، تصــدى لهم علمــاء الســلف ، في القـــرن الثـــامن ، فـــبينوا بطلان ما زعمه الصوفية في هذا الجانب 0

قال ابن القيم : « فترك الأسباب المأمور بها : قادح في التوكل»[2]، وأضاف القــول : « فـإن من نفاها فتوكله مــدخول0 وهــذا عكس ما يظهر في بــداوات الــرأي : أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل ، وأن نفيها تمام التوكل ، فـاعلم أن نفـاة الأسـباب لا يسـتقيم لهم توكل ألبتة ؛ لأن التوكل من أقوى الأسباب ، في حصول المتوكل فيه» [3]

وقال ابن رجب : « اعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السـعي في الأسـباب الـتي قـدر الله سـبحانه وتعـالى المقدورات بها ،وجـرت سـنته في خلقه بـذلك ، فـإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب ، مع أمره بالتوكل ، فالسـعي

1 - اللمع ، ص 260
2 - مدارج السالكين ، 2/ 122
3 - مدارج السالكين ، 2/ 122

في الأسـباب بـالجوارح طاعة له ، والتوكل بـالقلب عليه إيمان به»[1]

ونبه ابن أبي العز على أن ترك الأسباب قد يؤدي إلى قـدح في الشـرع ، فقـال : « ومما ينبغي أن يُعلم ما قاله طائفة من العلمـاء وهو : أن الالتفـات إلى الأسـباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسـباباً نقص في العقل ، والإعــراض عن الأســباب بالكلية قــدح في الشرع»[2]

وبيّن الشاطبي أن تعاطي الأسباب من صفات السلف الصالح ، فقال:«وقد وجدنا من السـلف الصـالح - رحمهم الله - كثيراً يدخرون الأموال لمصالح أنفسهم ، ويأخـذون في التجارة وغيرها بمقدار ما يحتاجون إليه ، في أنفسهم خاصة ، ثم يرجعــون إلى عبــادة ربهم ، حــتى إذا نفذ ما اكتسبوا عادوا إلى الاكتساب »[3]

وقـال: « ومثل هـذا محكي التزامه عن كثـير من الفضـلاء ، بل ومحكي عن الصـحابة والتـابعين - -فـإنهم كـانوا في الاكتسـاب مـاهرين ودائـبين ومتـابعين لأنـواع الاكتساب »[4]

وقال ابن رجب : « العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات ، والاجتهاد في الأعمـال الصـالحات ، وكل ميسر لما خلق له »[5]

وقال الشاطبي : « كان - عليه الصلاة والسلام - يسـتعد الأسـباب لمعاشـه وسـائر أعماله ، ومن جهــاد وغيره ، ويعمل بمثل ذلك الصحابة--»[6]، وأكـد أنها : « عمدة ما حافظت عليه الشريعة »[7]

وذكــر ابن رجب : أنه لا يشرع «ترك الأسباب الظاهرة »[8]

وقال ابن أبي العز : « ظن بعض الناس ، أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب ، وأن الأمـور إذا كـانت مقدوره فلا حاجة إلى الأسباب!

---

[1] - جامع العلوم والحكم ، ص 567
[2] - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 679
[3] - الموافقات ، 2/320
[4] - الموافقات ، 2/315
[5] - لطائف المعارف ، ص 216
[6] - الموافقات ، 3/561
[7] - الموافقات ، 3/560-561
[8] - لطائف المعارف ، ص 77

وهـــذا فاسد فـــإن الاكتســـاب : منه فـــرض عين ، ومنه مستحب ، ومنه مباح، ومنه حرام ، 000وقد كـان النـبي - ﷺ- أفضل المتـــوكلين يلبس لأمة الحـــرب ، ويمشي في الأسواق للاكتسـاب حـتى قـال الكـافرون :] 000ما لهـذا الرســول يأكل الطعــام ويمشي في الأســواق000 [، [الفرقان : 7] 0

و نجد كثيراً ممن يرى أن الاكتساب ينافي التوكل ، يرزقون على يد من يعطيهم ، إما صـدقة وإما هدية ، وقد يكون ذلك من مكاس[1] أو والي شـرطة أو نحو ذلك »[2] 0

تقول الصوفية :« المقامات مكاسب 000تحصل ببذل المجهود»[3]

وبهذا فهم يرون أن المقام لا يأتي إلا ببذل المجهود ، والمجهود لا يكـون إلا ببـذل الطاقة والسـعي ، والطاقة والسعي من الأسباب ، والتوكل عندهم ينـافي الأسـباب ، وهو مقـام لا يحصل إلا بها بـاعترافهم ، ولهـذا فقد وقعـوا في تنــاقض واضح في هــذه المســألة ، وأصــبحوا أمــام خيارين لاثالث لهما، - إذا لم ينهجوا منهج السلف في هذه المسألة - :

فإما أن ينفـوا الأسبـــاب - الـتي يـترقون من خلالها ، من الأحوال إلى المقامات - كلياً ، وبالتالي فلا يحصـلون على أي مقـام من المقامـات ، ومنها مقـــام التوكل ، فبهـذا لا يكون من الصوفية متوكل 0

وإما أن يثبتوا الأسباب ، - الـتي يـرون أنها تنـافي التوكل - ، وبالتالي فلا يكون هناك صوفي متوكل 0

---

[1] - مكس : الميم وكاف والسين ، كلمة تدل على جبي مال وانتقاص من الشيء ، ومكس : إذا جبى ، والمكس الجباية 0 [معجم المقاييس في اللغة ، ص 993 باب (الميم)]

[2] - شـرح العقيـدة الطحاوية ، 352 ، وانظر : الفتـاوى 8/68-73 و 8/526-539 ومـدارج السالكين 3/ 495-501

[3] - التعريفات ، ص 85

المبحث الخامس :جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري تجاه ، الزهد عند الصوفية 0

المطلب الأول : الزهد عند الصوفية 0

يعد الصوفية الزهد أساس الأحوال الرضية ، والمراتب السنية ، بل وأول قدم القاصدين إلى الله - عز وجل - [1]

قال القشيري : « سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الزهد أن تترك الدنيا كما هي ، لا تقول أبني رباطاً ، أو أبني مسجداً »[2]

وقال ابن خفيف : « علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الأملاك 0

وقال : الزهد سلو القلب عن الأسباب ، ونفض الأيدي من الأملاك»[3]

وقال السري السقطي[4]: « الزهد ترك حظوظ النفس ، من جميع ما في الدنيا »[5] 0

وقال أبو سليمان -الداراني- : « من تزوج أو كتب الحديث ، أو طلب معاشاً ، فقد ركن إلى الدنيا »[6]

---

[1] - انظر: اللمع ، ص 72

[2] - القشيرية ، ص 116

[3] -القشيرية ، ص 116

[4] - سري بن المغلس السقطي ، وكنيته : أبو الحسن ، يقال إنه خال الجنيد ، وأستاذه ، صحب معروفاً الكرخي ، وهو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال ، وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته ، توفي سنة 251 هـ (طبقات الصوفية ص 48)0

[5] - عوارف المعارف ، ص 442

[6] - قوت القلوب ، 2/252

وقال الرندي : « وقال لي - الله - إن كنت ذا مال فما أنا منك ، ولا أنت مني »[7]

« ويرد عن الشبلي أنه ألقى بأربعة آلاف دينار جملة في دجلة ، فقالوا له : ما تفعل ؟
قال : الحجر أولى بالماء 0 قالوا : لم لا تعطيها للخلق ؟
قال : سبحان الله ! بم أحتج إلى ربي في أني رفعت الحجاب عن قلبي وجعلته على قلوب إخوتي المسلمين »[2]

وقال الطوسي : « سمعت الوجيهي يقول : حمل إلى بنان الحمال ألف دينار ، وصبوها بين يديه ، فقال للذي صبه : ارجع وخذه ، ووالله لولا ما عليه من كتابة اسم الله تعالى لبُلْتُ عليها»[3]

وقال كذلك : « حمل إلى الحسن النوري -رحمه الله - ثلثمائة دينار ، قد باعوا عقاراً له ، فجلس على قنطره ، وهو يحذف بواحد واحد منها إلى الماء ، ويقول: سيدي تريد أن تخدعني عنك بهذا »[4]

وقال ذو النون : « إذا طلب العارف المعاش ، فهو لا شيء »[5]0

المطلب الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن ، اتجاه الزهد، عند الصوفية 0

يعد - ادعاء - الزهد أحد العلامات البارزة في التصوف ، ولكن لم يستطع القوم التميز بين ما هو مشروع من الزهد ، وما هو غير مشروع، فالزهد يتكون من فعل وترك ؛ فعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه ، ولكن بعض الصوفية تركوا جانب الفعل في الزهد المشروع ، وأخذوا بجانب الترك فقط ، مما أوقعهم في مخالفات شرعية0

وقد حدد شيخ الإسلام ابن تيميه ، مفهوم الزهد الصحيح بجانبية، جانب الفعل وجانب الترك ، فقال : «

---

[7] - المواقف ، ص 54
[2] - كشف المحجوب ، ص 462
[3] - اللمع ، ص 256
[4] - اللمع ، ص 257
[5] - اللمع ، ص 261

الزهد المشـروع : تـرك ما لاينفع في الـدار الآخـرة ، وأما كل ما يســتعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع »[1]

وقال ابن رجب : « تكلم السلف ومن بعدهم في تفسير الزهد في الدنيا ، وتنوعت عباراتهم عنه »[2]

وذكر من هذه الأقوال والعبارات ، قول أبو مسلم الخولاني ونصه : «ليس الزهادة في الدنيا بتحـريم الحلال ، و لا إضاعة المال ، إنما الزهادة في الـدنيا أن تكـون بما في يد الله أوثق مما في يدك ، وإذا أصـبت بمصـيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من إياها لو بقيت لك »

واستشهد بقول يونس بن ميسره[3] : « ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، وأن تكـون حالك مع المصـيبة ، وحالك إذا لم تصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامك في الحق سواء»

قال ابن رجب تعليقاً على ما مر ذكره : « ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة أشـياء كلها من أعمـال القلـوب ، لا من أعمال الجوارح »[4]

وعلق الذهبي على قول الجنيد : « ما أخذنا التصوف عن القـال والقيل ، بل عن الجـوع وتـرك الـدنيا ، وقطع المألوفات »[5]

بقوله :« هذا حسن ومراده : قطع أكثر المألوفات ، وترك فضول الـدنيا ، وجـوع بلا إفـراط ، أما من بـالغ في الجـوع كما يفعله الرهبـان ورفض سـائر الـدنيا ومألوفـات النفس من الغذاء والنـوم والأهل ، فقد عـرض نفسه لبلاء عــريض ، وربما خولط في عقله ، وفاته بــذلك كثــير من الحنيفية الســمحة ، وقد جعل الله لكل شــيء قــدراً ، والسعادة في متابعة السنن ، فزن الأمـور بالعـدل ، وصم

[1] - الفتاوى ، 11/ 28
[2] - جامع العلوم والحكم ، ص 388
[3] - يـونس بن ميســرة بن حليس ، قد ينتسب لجـده ، ثقة عابد معمر ، مـات سـنة 32 هــ (تقريب التهذيب ، ص 1099-1100) 0
[4] - جامع العلوم والحكم ، ص 389
[5] - السير ، 14/ 69

وأفطر ، والزم الورع في القوت ، وارض ما قسم الله لك ، واصمت إلا من خير »[1] ، تكن من الزاهدين0

واستدل ابن مفلح على الزهد المشروع ، وغير المشروع ، بحديث الرسول -- عن أنس بن مالك --: « أن نفراً من أصحاب رسول الله -- سألوا أزواج النبي -- عن عمله في السر ، فقال بعضهم : لا أتزوج ، وقال بعضهم : لا أكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش ، فبلغ ذلك النبي -- ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «أما بعد : فما بال أقوام قالوا كذا ؟! ولكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2]

وانتقد ابن مفلح ما يضنه بعض الناس زهداً ، وبيّن أن سلوكهم ذلك خاطئ ومجانب للصواب ، فقال : « روي عن صفوان بن سليم -تابعي - أنه عاهد الله أن لا يضع جنبه إلى الأرض ، ما بقي في الدنيا ، وعن داود الطائي : أنه كان يسف السويق لئلا يشتغل بمضغ الخبز وغيره عن الذكر ، وعن غيرهما أيضاً من العباد معنى هذه الأحوال »

فقال تعليقاً على هذه التصرفات : « لعل ذلك لا يصح من عابد عالم ، وعابد جاهل لا عبرة برأيه ، فإن صح ذلك ، فإنه محجوج برسول الله -- »[3]

واستشهد بقول الإمام مالك -- : « كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا صاحب هذا القبر ، يعني رسول الله -- »[4]

وقال الذهبي منتقداً الرهبة وترك المباحات والتشديد على النفس باسم الزهد : « الطريقة المثلى هي المحمدية ، وهو الأخذ من الطيبات ، وتناول الشهوات

---

[1] - السير ، 14/ 69-70

[2] - أخرج البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ، 3/354حديث رقم 5063 ، عن « أنس بن مالك رضي الله عنهم يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني »

[3] - الآداب الشرعية ، 3/ 189-190

[4] - الآداب الشرعية ، 3/190

المباحة من غـــير إســـراف ، كما قـــال تعـــالى :] يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم [[المؤمنون : 51]

وقال النبي -- : «لكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآتي النساء ، وأكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » [1]، فلم يشرع لنا الرهبانية ، ولا التمزق والوصال ، ولا صـوم الـدهر ، ودين الإسـلام يسر وحنيفية سـمحة ، فليأكل المسـلم من الطيب إذا أمكنـه،كما قـال تعـالى:]لينفق ذو سعة من سعته000 [[الطلاق: 7] 0

وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا -- »[2] ، وكـذلك اللحم والحلـواء والعسل والشـراب الحلو البـارد والمسك ، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى 0

ثم العابد العري من العلم متى زهد وتبتل وجاع وخلا بنفسه وترك اللحم والثمار ، واقتصر على الدقة والكسرة ، صـفت حواسه ولطفت ، ولازمته خطـرات النفس 000 وولج الشـــيطان في باطنه وخـــرج وربما حصل له شك وتزلزل إيمانه 000وليس ذلك في شريعتنا في شيء»[3]

ويتكون من تمهيد ، ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف السماع لغة واصطلاحاً0

المبحث الأول : السماع عنـــد الصوفية 0

المبحث الثـــاني : جهـــود علمـــاء الســـلف ، في القـــرن الثـــامن الهجـــري، اتجـــاه الســـماع عند الصوفية 0

---

[1] - سبق تخريجه، ص 310

[2] -أخرج الإمام أحمد في المسند ، 2/128 ، حديث رقم 11845 ، والنسـائي في سـننه ، كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ، 7/61 ، حديث رقم 3939 ، من حديث أنس -- قال رسول الله -- : « حبب إلي من الدنيا النسـاء والطيب وجعلت قـرة عيـني في الصـلاة » ، وصححه الحاكم في المستدرك ، 2/160

[3] - السير 12/ 89-90، وانظر : البداية والنهاية 10/607-608 ، والآداب الشرعية 3/195-196، وتفسير القرآن العظيم ، 1/359 ، والذيل على طبقات الحنابلة ، 3/ 239

التمهيد : تعريف السماع ، لغة واصطلاحاً 0

أولاً - السَّمَاعُ لغــة :

«ما سمعت به فشاع ، وتكلم به ، وكل ما التذته الأذن من صوت حسن سماع 0 والسماع الغناء »[1]0

ثانياً- السماع اصطلاحاً :

« استجمام من تعب الوقت ، وتنفس لأرباب الأحوال ، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال »[2] 0

المبحث الأول : السماع عند الصوفية 0

يعد السماع أحد الموضوعات التي أهتم بها الصوفية غاية الاهتمــام، وأفــرده الكثــير منهم بمبــاحث خاصة في مؤلفاتهم [3]

وقد اختلف المستمعون في السماع ، من الصوفية على طبقات ، فطبقة منهم اختـارت سـماع القـرآن ، ولم يرد غير ذلك ، وطبقة اختارت سماع القصـائد والأشـعار[4] 0

وقد بيّن ابن عربي مفهوم السماع عند الصوفية بقوله : «000فـــاعلم أن الســـماع عند أهل الله مطلق

---

[1] - لسان العرب ، 8/165، (باب العين) و المعجم الوسيط ، 1/449 ، باب (السين)
[2] - التعـرف ، ص 178 ، ومعجم المصـطلحات الصـوفية ، ص 100 ، وانظر الرسـالة القشيرية ، ص335
[3] - انظر : اللمع ، ص 338 ، والتعرف ، ص 178 ، وكشف المحجوب ، 638
[4] - انظر: اللمع ، ص 352، 356

ومقيد ، فـالمطلق الـذي عليه أهل الله [1] ، 000والمقيد هو السماع المقيد بالنغمات المستحسنات ، الـتي يتحـرك لها الطبع بحسب قبوله ، وهو الذي يريدونه غالباً بالسماع ، لا السماع المطلق»[2] 0

ثم قال : « السماع المطلق لا يمكن تركه ، والذي يتركه الأكـابر ، إنما هو السـماع المقيد المتعـارف ، وهو الغناء »[3]

فالسماع الذي يريده ويعنيه الصوفية غالباً ، هو السـماع المصـحوب بالنغمـات والأصـوات العذبة ، الـتي يتحـرك لها الطبع ، ولهـذا قـال الطوسي : « النغمـات الطيبة موافقة للطبـائع ، 000وهـذه الأبيـات والقصـائد 000موافقة للطبع »[4]

وبيّن ذلك بقوله : « فمن اختـار اسـتماع القصـائد على اسـتماع القـرآن ، اختـار لحرمة القـرآن ، وتعظيم ما فيه من الخطر ، لأنه حق والنفـوس تخنس عنـدها وتمـوت حركاتها »[5]

وذكر الجنيد ، أن السماع سبب ،من أسباب تنزل الرحمة ، على الصوفية [6]

وقال القشيري : « سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : السـماع حـرام على العـوام لبقـاء نفوسـهم ، وهو مبـاح للزهـاد لحصـول مجاهـداتهم ، كما أنه مسـتحب لأصحابنا لحياة قلوبهم»[7]

وقد تكلف الغزالي بإيراد ما يراه أدلة وشواهد ، على حل وإباحة السـماع الصـوفي ، فمما قـال: « حكي عن بعض الشـيوخ أنه قـال : رأيت أبا العبـاس الخضر -- ، فقلت له : ما تقـول في هـذا السـماع الـذي تختلف في أصحابنا ؟

فقـال : هو الصـفو الـزلال ، الـذي لا يثبت عليه إلا أقـدام العلماء »

---

[1] - قال عن هذا السـماع : « وكـذلك نقـول في هـذا الطريق : كل سـماع لا يكـون عنه وجد وعن ذلك الوجد وجد فليس بسـماع ، فهـذه رتبة السـماع الـتي يرجع إليها أهل الله » [الفتوحات 2/361]

[2] - الفتوحات ، 2/361

[3] - الفتوحات ، 2/362

[4] - اللمع ، ص 356-357

[5] - اللمع ، ص 357

[6] - التعرف ، ص 179

[7] - الرسالة القشيرية ، ص 340

ومما أورده أيضاً : « حكي عن ممشاد الدينوري أنه قال : رأيت النبي- ﷺ - ، في النوم فقلت : يا رسول الله ، هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ فقال : ما أنكر منه شيئاً ، ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ، ويختتمون بعده بالقرآن »[1]

ثم أصدر حكمة بحل السماع الصوفي بقوله : « ولا يدل على تحريم السماع نص ، ولا قياس »[2]

وقد اشتهر عن الصوفية حال السماع ، أشياء منها الصعق ، والرقص ، واستماع آلات اللهو والطرب ، والألحان 0

فالصعق خاص بسماع القرآن ،وبعض الأشعار ،كما ذكر ذلك الطوسي ، بقوله :« ولو ذكرت ما يدخل تحت هذا الباب ممن سمع القرآن فصعق وبكى ، ومن مات ، ومن انفصل بعض أعضائه ، ومن غشي عليه 000إلى وقتنا لطال به الكتاب »[3]

وقد أورد حكاية عن الشبلي ، أنه كان يصلي خلف إمام له ، « فقرأ الإمام هذه الآية:] ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك علينا وكيلاً [، [الإسراء : 86] 0

فزعق زعقة ظنوا أن قد طارت روحه »[4] ، وأورد الهجويري مثل هذه الحكاية عن الشبلي أيضاً [5]0

وقال الهجويري : « ذهبت يوماً عند الشيخ أبي العباس الشقاني ، وكان يقرأ :]وضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء 000 [[النحل: 75] 0 وكان يبكي ويصرخ حتى ظننت أنه قد فارق الدنيا »[6]

وأورد الطوسي ما حكاة الدقي[7]قال : «سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول : رأيت شيخين اسم أحدهما جبلة والآخر زريق ، ولكل منهما تلامذة ومريدون ، فزار

---

[1] - الإحياء ، 2/294 ، قلت : وهذا فيه اعتراف على أن سماع الصوفية غير القرآن ، كما بيّن ذلك ابن عربي ، بأن مقصودهم بالسماع ليس سماع القرآن 0

[2] - الإحياء ، 2/294

[3] - اللمع ، ص 353

[4] - اللمع ، ص 355

[5] - كشف المحجوب ، 641

[6] - كشف المحجوب ،ص 642

[7] - محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي ، توفي بعد سنة 350 هـ ، أقام بالشام ، وعاش أكثر من مئة سنة ، صحب أحمد بن الجلاء والرقاق 0(القشيرية ص 412) 0

يومـاً من الأيـام جبلة زريق مع أصـحابه ، فقـرأ رجل من أصحاب زريق شيئاً من القرآن ، فصاح من أصـحاب جبلة رجل صيحة فمات ، فلما كان غداة يومئذ قال جبلة لزريق : أين صاحبك الذي قرأ بالأمس؟
فدعاه وقال له : اقـرأ ، فقـرأ شـيئاً ، فصـاح جبلة صـيحة فمـات القـارئ في مكانه ، فقـال : واحد بواحد والبـادئ أظلم »[1]

وأما الرقص واسـتماع الأشـعار والأنغـام وآلات الطـرب ، فهو مشـهور عن الصـوفية ، ومـدون في كتبهم ويعللون ذلك أنه تـرويح عن النفس ، وأما سـماع القـرآن فهو صدمة عند بعض الصوفية 0

فقد نقل القشيري عن إبراهيم الخـواص : « قـال إبراهيم الخواص وقد سئل : ما بـال الإنسـان يتحـرك عند سماع غير القرآن ، ولا يتحرك في سماع القرآن ؟

فقال : لأن سماع القرآن صدمة ، ولا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبته ، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه »[2]

وذكر السهروردي أن الـرقص قد يقع من بعض الصـادقين من الصـــوفية ، وبين ذلك بقوله : « وقد يـــرقص بعض الصادقين ، بإيقاع ووزن من غير إظهار وجد وحال »[3]

وقال القشيري : « روي عن أبي سعيد أحمــد الخراز ، قـــال : رأيت علي بن الموفق في الســـماع ، يقـــول :أقيمـوني فأقـاموه ، فقـام وتواجد ، ثم قـال : أنا الشـيخ الزفان » ، والزفان هنا بمعنى الرقاص[4] 0

وذكر الطوسي : « أن ذا النون المصري ، دخل بغـداد فـاجتمع إليه قــوم من الصــوفية ، ومعهم قــوّال ، فاستأذنوه في أن يقول شـيئاً ، فـأذن له في ذلك ، فأنشأ يقول :

صغير هواك عذبــني فكيف به إذا احتنـكا
وأنت جمعت في قلـبي هوى قد كان مشتركا
أما تـــرثي لمكتئب إذا ضحك الخلي بـكا

---

1 - اللمع ، ص 359
2 - الرسالة القشيرية ، ص 343
3 - عووارف المعارف ـ ص 166
4 - عوارف المعارف ـ ص 363والرسالة القشيرية ـ ص 347

فطــاب قلبه وقــام وتواجد ،وســقط على وجهه ، والــدم يقطر من جبهته»[5]

«وعن أبي الحسين النوري ، أنه حضر مجلساً في ســماع ، فسمع هذا البيت:

مــازلت أنــزل من ودادك مــنزلاً تتحــير الألبــاب عند نزولـه

قال : فقام وتواجد وهام على وجهه ، فوقع في أجمة قصب قد كسحت وبقي أصـولها كالسـيوف ، فأقبل يمشي عليها ويعيد الـبيت إلى الغـداة ، والـدم يخــرج من رجليه ، ثم ورمت قدماه وسـاقاه ، وعـاش بعد ذلك أيامـاً قلائل ومات »[2]

ونقل السهروردي ، قول المكي - أبو طالب - : « قال : كان لعطاء جاريتان تلحنان ، وكان إخوانه يجتمعـون إليهما ، وقـــال: أدركنا أبا مـــروان القاضي وله جـــوار يسمعن التلحين ، أعدهن للصوفية»[3]

وقد يكون سماع المغنين يغنون ،سبباً للصعق والموت عند الصوفية ، كما ذكر ذلك الهجـويري بقوله : « يقـول واحد من كبـار المشـايخ : سـمعت مع درويش في بغداد صوت مغن كان يغني :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلا فقــد عشنا بها زمناً رغداً

فصرخ ذلك الدرويش ، وفارق الحياة »[4]

وقال كذلك : « يقول قائل : كنت أسير مع إبراهيم الخواص في طريق، فظهر طرب في قلبي ، فغـنيت هـذا الشعر :

صح عند الناس أني عاشـق غير أن لم يعلموا عشقي لمن
ليس في الإنسان شـيء حسن إلا وأحسن منه صـوت حسـن

فقال لي : أعد هذا الشعر ، فأعدته ، فضـرب الأرض عدة ضربات من الوجد ، فلما نظرت كانت أقدامه تغوص في الحجر كما لو كانت تغوص في شــمع ، ثم وقع

[5] - اللمع ، ص 362و عوارف المعارف ، ص 165
[2] - اللمع ، ص 363
[3] - عوارف المعارف ، ص 164
[4] - كشف المحجوب ، ص 658

مغشياً عليه ، فلما أفاق ، قال لي : كنت في روضة الجنة ، وأنت لم ترَ »[1]

و« كان شاب يصحب الجنيد ، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق ، فقال الجنيد يوماً : إن فعلت ذلك مـرة أخـرى لا تصـحبني ، فكـان إذا سـمع شـيئاً يتغـير ويضـبط نفسه ، حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطـرة وذات يوم صاح صيحة تلفت فيها نفسه »[2] 0

وقال القشيري : « واعلم أن سماع الأشعار بالألحـان الطيبة، إذا لم يعتقد المستمع محظوراً ، ولم يسـمع على مذموم بالشـرع، ولم ينجر في زمـام هـواه ، ولم ينخـرط في سلك لهوه ، فهو مباح في الجملة »[3] 0 وأضاف : « 000 وقد سمع السلف والأكابر الأبيـات بالألحـان ، فممن قـال بإباحته من السـلف مالك بن أنس ، وأهل الحجـاز فكلهم يـبيحون الغنـاء 000وأما الشـافعي - رحمه الله تعالى - فإنه لا يحرمه000»[4]

ومن الآثار التي يزعم الصوفية أنها تبيح السماع والغنـاء ما يروونه عن الرسـول -ﷺ- أنه سـمع منشـداً يقول:

لقد لسـعت حية الهـوى كبـدي فلا طـبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت بـه فعنده رقيتي وترياقـي

« فتواجد رسـول الله -ﷺ- ، وتواجد الأصـحاب معه حـتى سقط رداءه عن منكبيه 000ثم قسم رداءه رسول الله -ﷺ- ، على من حاضرهم ، بأربعمائة قطعة 000»[5]

تلك هي مواقف الصوفية ، من السماع بمختلف أنواعه ، فهم يؤكدون حل السماع الـذي يفعلونه ، تأسـياً بالسلف - كما يزعمون - ، وأنه قربة إلى الله تعالى 0

---

1 - كشف المحجوب ، ص 658
2 - الرسالة القشيرية ، ص 345
3 - المرجع السابق ، ص 336
4 - المرجع السابق ، ص 336-337
5 - عوارف المعارف ، ص 189 ، قلت : ويكفي بيان بطلان هـذا الـزعم ، بل وفسـاده ما أوردة راوي هذه الرواية ، وهو السهروردي ، إذ قال معقبـاً على هـذه الروايـة: « وما وجـدنا شيئاً نقل عن رسول الله -ﷺ- يُشاكل وجد أهل الزمـان وسـماعهم واجتمـاعهم وهـيئتهم ، إلا هذا 0 وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسـمتها ، أن لو صح والله أعلم 0 ويخالج سري أنه غير صحيح ، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي -ﷺ- ، مع أصحابه ، وما كـانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هـذا الحـديث ، ويـأبى القبق قبوله ، والله أعلم بذلك » عوارف المعارف ، ص 189

المبحث الثـــاني : جهــود علمـــاء الســـلف ، في القرن الثامن الهجري،تجاه السماع عند الصوفية 0

رد علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، على الســـماع عند الصـــوفية ، وبيّنـــوا ما يـــترتب عليه من المخالفات الشرعية ، وفنـدوا ما أحـدثوه من بـدع منكـره في هـذا المضـمار ، ومن خلال ذلك أصـلوا حكم الإسـلام في السماع وما يصحبه من آفات ومخالفات 0

فقد فرّق شيخ الإسلام ابن تيميه بين السماع الذي يُنتفع به في الـدين ، وبين ما فيه ضـرر ومحـذور شـرعي ،من السماع البدعي ، فقال:«فأما السـماع الـذي شـرعه الله تعــالى لعبــاده ، وكــان ســلف الأمة من الصــحابة والتــابعين وتــابعيهم ، يجتمعــون عليه لصــلاح قلــوبهم ، وزكاة نفوسهم ؛ فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو ســماع النبيين والمؤمنين ، وأهل العلم وأهل المعرفة »[1]

وأما ما يعتري بعض الصوفية ، من أحوال عند السماع ، من صعق وفقدان الوعي ، فذكر شيخ الإسلام ، أن ذلك لم يكن معروفـاً عند السـلف الصـالح ، فقـال عند ما بين أحوال عبـاد البصـرة : « غـالب مـايحكى من المبالغة في هـذا البـاب ، إنما هو عن عبـاد البصـرة ، مثل حكاية من مـــات أو غشي عليه من ســـماع القـــرآن ، ونحو ذلك 000وكان منهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن ، ولم يكن في الصـــحابة من هـــذه حالـــة، فلما ظهر ذلك أنكر طائفة من الصحابة والتابعين »[2]

---

[1] - حكم الســـماع ، ابن تيميه ، تحقيق حمـــاد ســـلامة ، راجعه ، د: محمد عويضه ، ط1 ، (الأردن : الزرقاء ، مكتبة المنار ، 1408هـ) ، ص9

[2] - التصوف والصوفية ، ص 10

وبيّن ابن أبي العز ، أن الصعق لم يكن من صفات السلف الصالح ، ولو عند سماع القرآن ، فقال : « 000وكذلك الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة ، مبتدعون ضالون ، وليس للإنسان إن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله ، ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك ، ولو عند سماع القرآن ؛ بل كانوا كما وصفهم الله تعالى :]إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آيته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون [[الأنفال : 2 الآية] [1] 0

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيميه ، المأخذ التي ذكرها المنكرون للصعق عند سماع القرآن ، بقوله : « والمنكرون لهم مأخذان : منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعاً ، ويذكر عن محمد بن سيرين أنه قال : ما بيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القرآن ، إلا أن يُقرأ على أحدهم وهو على حائط ، فإن خر فهو صادق 0

ومنهم من أنكر ذلك ؛ لأنه رآه بدعة مخالفاً لما عرف من هدي الصحابة، كما نُقل عن أسماء ، وابنها عبد الله » ، ثم ذكر شيخ الإسلام رأي جمهور العلماء في هذه المسألة ، فقال :« والذي عليه جمهور العلماء ، أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً عليه لم ينكر عليه ، وإن كان حال الثابت أكمل منه »[2]

وأما سماع الصوفية للشعر والغناء بالألحان وآلات اللهو والطرب، وما يتبعه من رقص وصعق وموت ، فقد اشتد إنكار علماء السلف في القرن الثامن ، على الصوفية في هذا الجانب ، إنكاراً شديداً ، بل إن من علماء القرن الثامن ، من أفرد هذه المسألة بالرد في مؤلف خاص ، منهم شيخ الإسلام ابن تيميه ، وابن قاضي

---

1 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 771

2 - الفتاوى ، 11/7-8

الجبل ، ومحمد بن محمد الحنبلي[1]، وابن رجب[2] ،والأدفوي[3] 0

وقد أورد ابن قاضي الجبل في مؤلفه ، صوره استفتاء كتب في سنة أربعين وسبعمائة ، جـاء فيه : « ما تقـول 000العلمـاء أحسن الله تـوفيقهم ، في السـماع الذي يشتمل على الدف والشبابة وآلات اللهو والطـرب ، أو التصـفيق بـالكف ونحو ذلك من اللهو ، مثل التغبـير ونحوه ، ويحضره الرجال والنساء ، وربما اختلطوا بعضهم ببعض ، فربما جلس النسـاء مقابل الرجـال ، فينظـرون إليهم وهم يرقصـون على صـوت الشـبابات والـدفوف والغناء ، ويزعمون أن ذلك قربة يقـربهم إلى الله ، ويزيد في أذواقهم ومواجيـدهم الإيمانية ، وأن من رقص غفر له 000»[4]

ثم ذكر ابن قاضي الجبل جواب العلمـاء ، على الاستفتاء المذكور، بدأه بجواب القاضي برهـان الـدين بن عبد الحق الحنفي[5] ، ومنه : « الله الموفق ،هذا الجـواب المسـؤل عنه بهـذه الصـفة المـذكورة بدعة وحـرام ، تسقط به العدالة ، وترد به الشهادة ، وتذهب به المـروءة ، ولا يعرف في حله قولاً لأحد ممن يعتد »[6] 0

---

[1] - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الصالحي ، عرف بـالمنبجي الحنبلي ، الإمام العالم ، له مصنف في الطاعون وأحكامه ، توفي في رمضان ، سنة 774 هـ 0
جمع رسـالة في السـماع والـرقص ، من أجوبة شـيخ الإسـلام ابن تيميه وردوده ، على الصوفية في مسألة السماع والرقص ، سماها : « رسالة في السماع والرقص » ، وهي رسالة مفيدة وهامة في بابها ، وهي نقل من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ، -خاصة الجـزء 11/ـ 557، وما بعدها - جاء في مقدمتها : « سئل شيخ الإسلام بحر العلوم تقي الـدين أبو العباس أحمد بن تيمية - رضي الله عنه- عن صفة (سماع الصالحين) ما هو ؟ وهل سـماع القصائد الملحنة بالآلات المطربة هو من القرب والطاعات ، أم هو محرم أو مباح ؟
(رسالة في السـماع والـرقص ، جمع الشـيخ محمد بن محمد المنبجي الحنبلي ، علق عليها وخرج أحاديثها : محمد صبحي حسن حلاق ، ط1 ، بـيروت : دار ابن حـزم ، 1413هـ ، ص 13 ، وما بعدها ، شذرات الذهب ، 6/ 236، ومعجم المؤلفين ، 11/295)

[2] - انظـر: حكم السـماع ، تـأليف شـيخ الإسـلام ابن تيميه ، وفتـاوى في الغنـاء ، أحمد بن الحسن المعـروف بـابن قاضي الجبل ، قـدم له فضيلة الشـيخ عبد الله بن جـبرين ، تحقيق حمد بن عبد العزيز الضويان ، ط1 ، الرياض : دار طيبة للنشر والتوزيع ، 1409هـ ، ونزهة الأسماع في مسألة السماع ، ابن رجب 0

[3] - للإمـام أبي الفضل الأدفـوي كتـاب «الإمتـاع في أحكـام السـماع » يـذكر فيه أقـوال المجيزين وأدلتهم ، وأقوال المانعين وأدلتهم ، اختصـره الإمـام الـذهبي برسـالة سـماها : « رسـالة الرخصة في الغنـاء والطـرب بشـرطة » بين فيها : أن الغنـاء المجـرد عن الآلات الموسيقية ، قد أباحه غير واحد من العلماء ، بشرط : أن لا يكون باعثاً على تهييج الشهوة ، وألا يكون الشعر في معين0
وهذه الرسالة ضمن مجموع برقم (7159) في المكتبة الظاهرية ، في 54 ورقة 0

[4] - فتاوى في الغناء ، ص 19

[5] - هو : إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الحنفي ، برهـان الدين بن كمال الدين ، المشهور بابن عبد الحق ، انتهت إليه رياسة المذهب ، كان من أكابر العلماء يحفظ الفروع وكثير من المتون ، ويجانب أهل البدع ، ومات بدمشق في ذي الحجة 744 ، وله ست وسبعون سنة 0 (الدرر الكامنة ، 1/ 46-47)

[6] - فتاوى في الغناء ، ص 23

ثم أعقب ذلك بعدد من الآيات والأحاديث والآثار التي تحرم الغناء الواردة صفته في الاستفتاء المذكور[1]

منها قوله تعالى:] وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية 000[[الأنفال : 35 الآية] 0

واستدل بقول ابن مسعود: « الغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء العشب »

وقول الشعبي[2]: « لُعن المغني والمغنَّى له» ، وقول الضحاك : « الغناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب »

إلى أن قال : « وقد بلغت الوقاحة بقوم من المتصوفة ، إلى أن ادعوا فيما ذكر في صدر الاستفتاء ، من حضور السماع والرقص، أنه يثير ساكن المحبة ، ويحرك كامن الوجد ، ولعمري لو كان السماع خالياً من الصور الحسان ، وحسن صوت المغني ، لا فيه دف ولا مزمار لما أشرقت نفسه به ، ولا اتخذه قربة ، فعلم أن الذي حمله على ذلك 000شهوات نفسانية ، وطلبات دنيوية ، وهذه طرائق أرباب البطالة ، ومن غلبت عليهم محبة ما دعاهم الشيطان إليه ، فنعوذ بالله من الخذلان، ولو بسط القول في تأصيل أفعالهم وأقوالهم وحقيقة أحوالهم ، لرأيت بدائع البدع ، ومنكرات الشنع ، فالله أسال العصمة والهداية ، وبلطفه الاستعانة و الكفاية ، وهو حسبنا ونعم الوكيل »[3]

ثم ذكر ابن قاضي الجبل ، صفة جوابه[4] على الاستفتاء المذكور ، ومنه : « اللهم وفق 0 الهيئة المسؤل عنها من السماع ،بدعة محرمة باتفاق الجمهور من العلماء ، فاعل هذا والحال هذه أثم ساقط المروءة ، مردود الشهادة ، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذم ذلك والنهي عنه ، وكشف وجه فساده ، وكثر ذم السلف والأئمة الأربعة[5] ، وغيرهم من العلماء ، لهذه

---

[1] - انظر: فتاوى في الغناء ، ص23-32

[2] - عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار ، علاّمة العصر ، أبو عمرو الهمذاني ، ثم الشعبي ، مولده في إمرة عمر بن خطاب -- لست سنين خلينا منها 0(السير 4/294-295) 0

[3] - فتاوى في الفناء ، ص29، 31، 34

[4] - انظر : كشف الغطاء ، ص 37

[5] - انظر : فتاوى في الغناء ، ص 31-32 ، والسير ، 10/ 91 ، والآداب الشرعية ، 1/217
سئل الإمام مالك عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : « إنما يفعله عندنا الفساق » وقال : « إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردها بالعيب »0
ومذهب أبي حنيفة من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال ، وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهي كلها كالمزمار والدف حتى الضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا : إن السماع فسق والتلذذ به كفر ! هذا لفظهم »0

الأفاعيل ، والنهي عن هـــــــذه الأباطيل ، ولو بسط ذلك لاحتملِ مجلدات ، وقدِ تضمنت هـذه الحالة المسـؤل عنها وجوهاً نهى عنها شرعاً ، واجتماع الدف والشـبابة والغنـاء منهي عنه باتفـاق الجمهـور ، وحضـور النسـاء مع الرجـال على تلك الحالة غـــير ســـائغ أيضـــاً ، ومن أعظم البـــدع والمنكـرات دعــواهم كـون ذلك قربة يتقـرب به إلى الله سبحانه ، فإن هذه الـدعوى كـذب من القـول وباطل من الكلام ، وافــتراء على الشــريعة المطهــرة ، طهرها الله تعــالى عن مثل أفعــال هــؤلاء الجهلة الضــلال مرتكــبي الباطل ، مظهري المحال 000وقـولهم أن الـرقص سـبب للمغفرة ، وإن المنُكِر عليهم محجوب ، كذب وبهت »[1]

ووصف ابن كثـير سـماع الصـوفية ، بأنه سـماع شيطاني ، فقال في ترجمة الشيخ أبو الرجال المنيني[2] : « الشيخ الزاهد العابد 000، كانت له أحوال ومكاشـفات 000، وكـانت له زاوية ببلــده ، وكـان بريئـاً من هـذه السماعات الشيطانية »[3]

وقد استفتي الشاطبي بسؤال عن سماع الصوفية ، ونصـه:«000وقع السـؤال عن قـوم يتسـمون بـالفقراء ، يزعمـون أنهم سـلكوا طريقة الصـوفية ، فيجتمعـون في بعض الليالي ، ويأخذون في الـذكر الجهـوري على صـوت واحد ، ثم في الغنـــاء والـــرقص ، إلى آخر الليل 000هل هذا العمل صحيح في الشرع أم لا ؟»

فأجاب الشاطبي : « بـأن ذلك كله من البـدع المحـدثات ، المخالفة طريقة رسـول الله -ﷺ- ، وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان»[4]0

وأما الشافعي ، فقال : « إن الغناء لهو مكروه ، يشبه الباطل والمحال ، ومن اسـتكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وصرح أصحابه العـارفون بمذهبه بتحريمه ، وأنكـروا على من نسب إليه حله»

وأما مذهب الإمام أحمد ، فقال عبد الله ابنه : « سألت أبي عن الغناء ؟ فقال : الغنـاء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني ، وقـال عبد الله سـمعت أبي يقـول : سـمعت يحـيى القطـان يقـــول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة ، بقـــول أهل الكوفة في النبيذ ، وأهل المدينة في السـماع ، وأهل مكة في المتعة لكـان فاسـقاً » 0 [إغاثة اللهفـان من مصـايد الشـيطان ، تـأليف الإمـام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الشـهير بـابن قيم الجوزية ، بتحقيق وتصـحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، بيروت : دار المعرفة ، 1 / 226-229]

[1] - فتاوى في الغناء ، ص 35-36

[2] - الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الرجال بن مـرعي ، من بحـتر المـنين ، وقد بلغ ثمـانين سنة وتوفي بمنين ، في منزله سنة 694هـ 0 (البداية والنهاية 13/390-391) 0

[3] - البداية والنهاية ، 13/390-391

[4] - الاعتصام ، 1/215 ، ونظر: 1/175

وقال عن الغناء : « لا يجوز لأحد أن يستمع إلى الغناء»[5]

وقال ابن رجب في ترجمة إسحاق بن أحمد[2] : « له رسـائل كثـيرة إلى الأعيـان بالإنكـار عليهم والنصح لهم ، ورأيت كتاباً أرسله إلى الخليفة ببغداد ، وأرسل أيضـاً إلى الشيخ علي بن إدريس الزاهد - صاحب الشيخ عبد القـادر - رسالة طويلة تتضمن إنكـار الـرقص والسـماع والمبالغة في ذلك ، وله في معنى ذلك عـدة رسـائل إلى غـير واحد »[3]

وقـال في طريق الصـوفية : « وأدخلـوا في هـذه الطريق أشياء كثيرة ليست من الدين في شيء ، فبعضها زعمـوا أنه يحصل به ترقيق القلـوب كالغنـاء والـرقص ، 000 وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً»[4]

وعد الشاطبي سماع الغناء من البدع ، حين قال : « وأما غــير العــالم ، وهو الواضع لها - البدعة - لا يمكن أن يعتقــدها بدعة ، بل هي عنــده مما يلحق بالمشــروعات ، 000كمن عد السماع والغناء مما يتقـرب به إلى الله بنـاء على أنه يجلب الأحوال السنية »[5]

وقال ابن رجب ، في ترجمة ،الحافظ عبد الغني المقدسي[6] ، ومثنيـاً عليه : « وكـان - رحمه الله - قويـاً في بدنه ، وفي أمر الله ، وكثـــيراً ما كـــان بدمشق ينكر المنكر ، ويكسر الطنابير والشبابات »[7]

وقال في ترجمة المعمر بن علي[8] : « خرج مرة فلقي مغنية قد خــــرجت من عند تــــركي ، فقبض على عودها وقطع أوتاره »[9]

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى:] ومن الناس من يشـــتري لهو الحـــديث ليضل عن ســـبيل الله بغـــير

---

[5] - الموافقات ، 3/529 ، وانظر: 1/212

[2] - إسحاق بن أحمد بن محمد بن غانم العلثي ، القوة الزاهد ، أبو الفضل ، له أجزاء حديثية مجموعة ، توفي سنة 634هـ 0 (الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/ 205، 211)

[3] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/205

[4] - فضل علم السلف ، ص 45

[5] - الاعتصام ، 2/254

[6] - عبد الغـــني بن عبد الواحد بن علي بن ســـرور المقدسي الحافظ الزاهد ، أبو محمد ، ويلقب تقي الـدين ، حافظ وقته ومحدثه ، ولد بجماعيل من أرض نـابلس ، سـنة 541 هــ وتوفي سنة 600هـ 0 (الذيل على طبقات النابلة ، 4/5، 29)

[7] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/12-13

[8] - المعمر بن علي بن أبي عمامة البقـال البغـدادي ، ولد سـنة 429هــ وكـان فقيهـاً مفتيـاً واعظاً ، بليغاً ،فصيحاً له قبـول تـام ، تـوفي سـنة 506هــ 0 (الـذيل على طبقـات الحنابلة 3/107)

[9] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 3/107

علـــــــــم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين [، [لقمان : 6] 0

إن لهو الحديث هـو: الغنــاء (1) ، وذكر أن المعـازف واللعب واتباع الشهوات ، وكل ما يصد عن ذكر الله ، هي ما كانت تتلوا الشياطين (2)

وقال ابن رجب عن سماع آلات اللهو : « فأما سماع آلات اللهو ، فلم يحك في تحريمه خلاف »(3)

وقسم ابن رجب استماع الغناء وآلات الملاهي إلى قسمين ، فقال :

« القسم الأول : أن يقع على وجه اللعب واللهو ، فـــأكثر العلماء على تحريم ذلك ، أعني سماع الغناء وسماع آلات الملاهي كلها ، وكل منها حرام بانفراد 000

والقسم الثاني : أن يقع استماع الغناء بآلات اللهو أو بـدونها على وجه التقــرب إلى الله تعــالى ، وهــذا هو الــذي يدعيه كثــير من أهل الســلوك، ومن يتشــبه بهم ، ممن ليس منهم ، وإنما يتســتر بهم ، ويتوصـل بـذلك إلى بلــوغ غــرض نفسه ، من نيل لذته ، فهــذا المتشــبه بهم مخـــــادع ملبس ، وفســـاد حاله أظهر من أن يخفى على أحد ، وأما الصـــادقون في دعـــواهم ذلك وقليل مـــاهم ، فإنهم ملبـوس عليهم حيث تقربـوا إلى الله - عز وجل - ، بما لم يشرعه الله تعالى ، واتخـذوا دينـاً لم يـأذن الله به »(4)0

وقد بيّن الشاطبي أن من يصعق ، أو يموت من سـماع الـذكر أو الموعظة ، دون تعمد لا ينكر عليه ذلك ، لأنه خارج عن إرادته ، فقال : «نعم لا ينكر اتفـاق الغشي ونحوه ، أو الموت لمن سمع الموعظة بحق ، فصعق عن مصابرة الرقة الحاصلة بسببها »(5)

ثم ذكر حال الشاب الذي كان يصحب الجنيد ، فصعق ومــات ، من الســماع ، فقــال : «فهــذا الشــاب قد ظهر مصــداق ما قاله الســلف ، لأنه لو كــانت صــيحته الأولى غلبته ، لم يقــدر على ضــبط نفســه، وإن كـــان بشـــدة 000وعليه أدبه الشـيخ ، حين أنكر عليه ووعـده بالفرقة ، إذ فهم منه أن تلك الزعقة من بقايا رعونة النفس ، فلما

---

1 - تفسير القرآن العظيم ، 3/450-451
2 - تفسير القرآن العظيم ، 1/139
3 - نزهة الأسماع ، ص 64
4 - نزهة الأسماع ، ص 24، 68 ، وانظر الذيل على طبقات الحنابلة ، 4/195-200
5 - الاعتصام ، 1/226

خرج الأمر عن كسبه - بدليل موته - كانت صيحته عفواً لا حرج عليه فيها ، إن شاء الله »[1]

ثم ذكر أن ما يقع للصادقين : « بخلاف هؤلاء القوم الــذين لم يشــموا من أوصــاف الفضــلاء رائحة ، فأخــذوا بالتشــبه بهم فأبـــرز لهم هــواهم التشـــبه بــالخوارج ، وياليتهم وقفوا عند هذا الحد المـذموم ، ولكن زادوا علـى ذلك الــرقص والزمر والــدوران والضــرب على الصــدور ، وبعضــهم يضــرب على رأسه ، وما أشــبه ذلك من العمل المضحك للحمقى، لكونه من أعمال الصبيان والمجـانين ، المبكي للعقلاء ، رحمة بهم ، إذ لم يتخذ مثل هـذا طريقـاً إلى الله ، وتشبهاً بالصالحين »[2]

وقد نقل ابن رجب ، ذم الشــيخ أبي عبد الله الخيـاري للصـوفية ، وما يقع منهم من مخالفـات شـرعية عند السماع ،جـاء ذلك في قصـيدة له يصف بها شـيخاً[3] ، حضر سماع الصوفية ، فقال:

« عملت دعوة للصوفية والعلماء على اختلاف مــذاهبهم ، فمنهم من أكل وانصـــرف ، ومنهم من حضر الســـماع ، وكـــان البراندسي ممن عجز عن الخـــروج مع من أكل وانصـرف ، فأقـام وأغلق البـاب دونه ، وحضر السـماع ، فحيث علم أهل البصــــرة تخلفه دون جميع أصــــحابه 000قـــالوا فيه شـــعراً ، وهجـــره جماعة من عـــوامهم ،فأنشدني الشيخ أبو عبد الله الخياري لنفسه فيه :

أيها الشيـخ من ينافق خلـــوة
يظهر الله ذلك الفعل جلــوة
كنت تفتي أن السماع حـــرام
كيف حل السماع يوم الدعـوة؟
عشت ما عشت بين زهد ونسـك
وتسميت في الشريعة قــدوة
ثم خلعت العذار في اللهو والرقص
وبين البلى وبينك خطـــوة
كنت حقاً لورقص الطفل حوقلت
وأنكرت بارتعاد وسطـــوه
كيف جاز الجلوس بين حــداة

---

[1] - الاعتصام ، 1/227
[2] - الاعتصام ، 1/227
[3] - هو : الشـــيخ علي بن محمد علي الزيتـــوني الفقيه أبو الحسن البغـــدادي ، المعـــروف بالبراندسي ، ختم القرآن سنة 508 هجرية ، 0 (الذيل على طبقات الحنابلة ، 3/366)

لم يفت سماعهم غير قهــوة
لا تبهرج فليس عندك عـــذر
يلزم القوم ما أتوك عنــوة
إنما أنت حين خبـــرت أن
الرقص من بعد صحاح وكسوة
ودجاج وبط حثـك البخـــل
فلا تعتذر بقــولك شقـوة
ودع الآن شـغلك بالفقـه
وخذ في لباس دلق وركوة [1]

وقال الإمام ابن القيم ، في الذين يستمعون الغناء وآلات اللهو ، ويرقصـون على أنغامها من الصوفية : «فلو رأيت عند ذيــاك الســماع وقد خشــعت منهم الأصــوات وهـدأت منهم الحركـات ، وعكفت قلـوبهم بكليتها عليه ، وانصــبت انصــبابة واحــدة إليه ، فتمــايلوا له ولا كتمايل النشوان ، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ؟ ويحق لهم ذلك ، وقد خالط خُمارُه النفـــوس ، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمَّيا الكـــؤوس ، فلغير الله ، بل للشيطان ، قلـوب تمـزق وأثـواب تشـقق وأمـوال في غـير طاعة الله تنفق ،000ويا شـماتة أعـداء الإسـلام بالـدين ،يزعمـون أنهم خـواص الإسـلام ، قضـوا حياتهم لذة وطربـاً ، واتخـذوا دينهم لهـواً ولعبـاً ، مزامـير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن»[2]

واستشهد ابن القيم بقصيدة أحد العلماء [3] ،وذمة لما يفعله الصوفية من السماع المحرم ومما جاء فيها :

ألا قل لهم قـــول عبد نصـــوح وحق النصـــيحة أن تستمــع
متى علم الناس في ديننـا بأن الغنــاء سـنة تتبع ؟
وأن يأكل المرء أكل الحمار ويرقص في الجمع حــتى يقع ؟
وقــالوا : ســكرنا بحب الإله وما أســكر القــوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أُشبـعت يُرقِّصهــا ريها والشبع
ويسكره النّاي ثم الغنــا ويس لو تليت ما انصدع
فيا للعقول ويا للنهــى ألا مُنكِرٌ منكـم للبــدع

[1] - الذيل على طبقات الحنابلة ، 3/ 366-367
[2] - إغاثة اللهفان 1/224
[3] - ظهير الدين أبو إسحاق بن نصر الموصلي 0 [البداية والنهاية ، 13/ 78]

تهـان مسـاجدنا بالسمـــاع وتكــرم عن مثل ذاك البيع[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ، فمن زعم أن الأئمة الأربعة يبيحون الغناء : « فيقال له : هذا من الكـذب على الأئمة الأربعة ، فـإنهم متفقـون على تحـريم المعـازف ، التي هي آلات اللهو ، كالعود ونحوه »[2]

وقال أيضاً : « وذكر زكريا بن يحي الساجي[3] - وهو أحد الأئمة المتقدمين المائلين إلى مذهب الشـافعي - أنه لم يخالف في ذلك من الفقهاء المتقـدمين إلا إبـراهيم بن سـعد ، من أهل البصـرة ، وما ذكر أبو عبد الـرحمن السـلمي ، وأبو القاسم القشـيري ، وغيرهما : عن مالك وأهل المدينة ، في ذلك فغلط ، وإنما وقعت الشبهة فيه ، لأن بعض أهل المدينة كـان يحضر السـماع ، إلا أن هـذا ليس قول أئمتهم وفقهـائهم ، بل قـال إسـحاق بن عيسى الطبـاع : سـألت مالكـاً عما يـترخص فيه أهل المدينة من الغناء ، فقال: إنما يفعله عندنا الفساق 000»[4]

وقال ابن القيم عن حديث تواجد رسول الله -ﷺ- : «ومن ذلك حديث " حضر رسول الله -ﷺ- سماعاً ، ورقص حـتى شق قميصه " فلعن الله واضـعه ، ما أجـرأه على الكذب السمج؟!»[5]

وقال الشاطبي ، عن هذا الحـديث أيضـاً :« فمنها اعتمـادهم على الأحـاديث الواهية الضـعيفة ، والمكـذوب فيها على رسـول الله -ﷺ- الـتي لا يقبلها أهل صـناعة الحديث ، في البناء عليها كحديث 000 أن النبي -ﷺ- تواجد واهتز عند السماع ، حـتى سـقط الـرداء عن منكبيه ، وما أشبه ذلك، فـإن ناقل أمثـال هـذه الأحـاديث - على ما هو معلـوم - جاهل ومخطئ ، في نقل العلم الشـرعي ، فلم ينقل الأخذ بشـيء منها عمن يعتد به ، في طريق العلم ، ولا طريقة السلوك »[6]

---

[1] - إغاثة اللهفان 1/ 231 ، و البداية والنهاية 31/78 ، فقارن بينهما 0
[2] - منهاج السنة ، 3/ 439
[3] - زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن بحر الساجي البصري ، الحافظ ، أحد الأئمة الثقات ، مات بالبصرة سنة 307هـ وله كتاب : إختلاف الفقهاء ، وعلل الحديث 0 (طبقات الشافعية ، أبن قاضي شهبة ، 1/94-95)
[4] - الفتاوى ، 11/577 ، وانظر مدارج السالكين ، 1/522
[5] - المنار المنيف ، ص 106
[6] - الاعتصام ، 1/182

فهذه جهود علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، تجـاه السـماع الـذي ابتدعه الصـوفية ، بينـوا ما يتفق مع مقاصد الشـــرع الحكيم من الســـماع ، وذكـــروا الأنــواع المحرمة منه انطلاقــاً من النصــوص الشــرعية ، وأقوال سلف الأمة المقتدى بأفعالهم وأقوالهم 0

ويتكون من : تمهيـــد ، ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف اللبـــاس والشـــعار ، لغة واصطلاحاً 0

المبحث الأول : اللباس والشعار عند الصوفية 0

المبحث الثـــاني : جهـــود علمـــاء الســـلف ، في القرن الثامن الهجـري، تجـاه اللبـاس والشـعار ، عند الصوفية0

التمهيد : تعريف اللباس والشعار 0

أولاً : تعريف اللباس 0

اللباس : جمعه أَلْبِسَة ولُبُس ، وهو : ما يستر الجسـم، واللِبِاس - بالكسر - ما يلبس »[1]

و« اللِباس - بكسر اللام جمع ألبسة - ما يلبس مما يستر الجسم»[2]

ثانياً : تعريف الشعار :

« علامة تتميز بها دولة ، أو جماعة »[3]، « وشعار القوم في الحرب علامتهم ، ليعرف بعضهم بعضاً»[4]

و« العلامة الـتي تتمـيز بها دولة أو جماعة ، من قـول أو نقش أو غيرهما»[5] 0

---

[1] -المعجم الوسيط ، 2/813، باب (الباء) ومختار الصحاح ، ص 519 ، باب(الباء)
[2] - معجم لغة الفقهاء ، ص 388
[3] - المعجم الوسيط ، 2/484 ، باب(الشين)
[4] - مختار الصحاح ، ص 298، باب (الشين)
[5] - معجم لغة الفقهاء ، ص 263

المبحث الأول : اللباس والشعار ، عند الصوفية 0

اللباس من حاجات النفس البشرية وضرورتها ، لدفع الحر والبرد ، والستر ، والصوفي يرد النفس في اللباس ، قال السهروردي عن حال الصوفية مع اللباس : «000 الفقراء يلبسون المرقع ، وربما كانوا يأخذون الخرق من المزابل ، ويرقعون بها ثوبهم ، وقد فعل ذلك طائفة من أهل الصلاح 0000فكما كانت رقاعهم من المزابل كانت لقمهم من الأبواب»[1]

وقد درج بعض الصوفية ، على تخريق الثياب الجديدة ، وأصبح ذلك أمراً معتاداً لديهم ، كما قال الهجويري : « اعلم أن تخريق الثياب بين هذه الطائفة أمر معتاد ، وقد فعلوا هذا في المجامع الكبرى التي كان المشايخ الكبار - رضي الله عنهم - حاضرين فيها »[2]

وذكر الطوسي عن أبي سليمان الداراني ، أنه قال : «يلبس أحدكم عباءة بثلاث [3] دراهم ، وشهوته في قلبه خمسة دراهم ، فما يستحي أن يجاوز شهوته لباسه ، وبلغني أنه كان يقول : في قصر الثوب ثلاث خصال محمودة : استعمال السنة ، والنظافة وزيادة خرقه »[4]

وقد اشترط الغزالي في من تصرف له الوصية ، الموصى بها للصوفية ، أن يكون متصفاً بخمس صفات : « الصلاح ، والفقر ، وزي الصوفية ، وأن لا يكون مشتغلاً بحرفة ، وأن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة في الخانقاة »[5]

وقد اتخذ الصوفية من لبس الصوف شعاراً لهم ، حتى اشتهروا به[6]، بل واشتق اسمهم منه[7] ، وزادوا على ذلك لبس المرقعات ، وخرقة التصوف التي يتوارثونها جيلاً عن جيل 0

---

1 - عوارف المعارف ، ص 319

2 - كشف المحجوب ، ص 662

3 - الصواب : ثلاثة

4 - اللمع ، ص 248

5 - الإحياء ، 2/167

6 - مقدمة ابن خلدون ص 381

7 - انظر: اللمع ، ص 41، والتعرف ، ص 9 ، وكشف المحجوب ، ص 227

قال الطوسي : « دخل جماعة على بشر بن الحارث ، وعليهم المرقعات ، فقال لهم بشر: يا قـوم ، اتقـوا الله ولا تظهروا هذا الزي ، فإنكم تعرفـون به ، وتكرمـون له ، فسـكتوا كلهم ، فقـام شـاب من بينهم فقـال : الحمد لله الذي جعلنا ممن يعرف به ويكرم له ، والله لنظهـرن هـذا الزي حتى يكون الدين كله لله ، فقال له بشر: أحسنت يا غلام ! مثلك من يلبس المرقعة»[1]

وأما لبس المرقعة التي اشتهروا بها كذلك ، فذكر الهجويري إنها شعار المتصوف ، فقـال : « اعلم أن لبس المرقعة شعار المتصوف »[2]

وقال : « فالمرقعة سمة الصالحين ، وعلامة الطيبين ، ولباس الفقراء المتصوفين »[3]

وقال السهروردي عن لبس خرقة التصوف : « لبس الخرقة ارتبــاط بين الشــيخ والمريد ، وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه»[4]

وقال كذلك : «ففي الخرقة معنى المبايعة ، والخرقة عينة الدخول في الصحبة »[5]

وقال أيضــاً :« ويد الشيخ في لبس الخرقة ، تنوب عن يد رسول الله -0 -»[6]

فهذه أحوال الصوفية باللباس ، أحدثوا طقوساً وألبسة لم يوجبها الشرع الحنيف 0

[1] - اللمع ، ص 248 ، وعوارف المعارف ، ص 319 -320

[2] -كشف المحجوب ،ص 241

[3] -كشف المحجوب ، ص 254

[4] - عوارف المعارف ، ص 94

[5] - عوارف المعارف ، ص 92

[6] - عوارف المعارف ، ص 94

المبحث الثـــاني : جهـــود علمـــاء الســـلف ، في القرن الثامن الهجـري، تجـاه اللبـاس والشـعار ، عند الصوفية 0

بدأ علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري ، جهودهم تجاه اللبـاس والشـعار عند الصـوفية ، من أن ما أحدثوه من لباس وشعار ، لم يرد في الشرع الحـنيف ما يؤيـــده ، ولم يكن من مقاصد الـــدين القـــويم ، حرمـــان النفس من طيب اللبـــاس ، فضـــلاً عن تعـــذيبها وإذلالها باللباس الوضيع المبتدع0

قال ابن رجب عن الصوفية ، وما أحدثوه من بدع في اللبـاس : «أدخلـوا في هـذا الطريق أشـياء كثـيرة ، ليست من الدين في شيء 000بعضـها زعمـوا أنه لكسر النفوس أو التواضع ، كشهوة اللبـاس ، وغـير ذلك مما لم تأت به الشريعة »[1]

وبيّن الأدفوي[2] أن الاقتصار على : « لباس واحد لا يفعل غـــيره، فعل مـــردود على فاعله محكـــوم ببطلان أواخره وأوائله ، ليس فيه قربة000»[3] 0

وقال رداً على اشتراط الغزالي ، للزي الصوفي لمن يصلح له الوقف والوصـية من الصـوفية : « فقوله - أي الغـــزالي- إنه يعتـــبر الـــزي ، لا أصل له من الشـــرع ، ولم ينقل ذلك ، ولا نقل عن أحد من الأقـــدمين المعتـبرين ، بل الاقتصـار عليه مخـالف لما كـان عليـه -- وأصحـابه --، فقـد لبس-- ، جبه ضيقة الكمين ، ولبس حلة ، وكـــان يتعمم بعمامة ويـــرخي طرفها بين كتفيه ، وتحنك أيضـــاً بالعمامة ، ولبس عمامة ســـوداء ، وتـــردى برداء ، وكذلك الصحابة لبسوا أنواعاً مختلفة»[4]

---

[1] - فضل علم السلف ، ص 45

[2] - جعفر بن ثعلب بن جعفر بن علي بن المطهر بن نوفل ، كمـــال الـــدين ، أبو الفضل الأدفوي الشـافعي ، ولد بعد سـنة 680 وقيل 685 هــ ، في النصف من شـعبان ، في بلـدة أدفو ، ومن تصانيفه الطالع السعيد في تاريخ الصعيد ، والبدر السافر ، والمـوفي في معرفة التصـوف والصـوفي ، والإسـعاف ، والإمتـاع في أحكـام السـماع ، قـال ابن حجر : « كل مجاميعة جيده » وقال : « ومن خط البـدر النابلسي : كـان عالمـاً فاضـلاً متقللاً عن الـدنيا » ، وكان من فضلاء أهل العلم ، توفي رحمه الله في صفـــر سنة 748 هـ في القاهرة 0 (الدرر الكامنة 1/ 535-536 ، البدر الطالع بمحاسن كمن بعد القرن السابع ،تأليف العلامة محمد بن علي الشوكاني ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط1 (بـيروت : دار الكتب العلمية ، توزيع مكتبة البـاز مكة المكرمة ، 1418هـ) ، 1/ـ 126-127، شـذرات الـذهب 6/153 الأعلام ، 2/122- 123 ، معجم المؤلفين ، 3/136)

[3] - الموفي بمعرفة التصوف والصوفي ، تأليف الإمام كمال الدين أبي الفضل جعفر الأدفوي ، حققه وقدم له وعلق عليه ، د: محمد عيسى صالحية ، ط1 ، (الكـويت : مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ، 1408هـ) ، ص 56

[4] - الموفي ، ص 54

وذكر الشاطبي أن : « 000لبس الطيالس[1] ، وتوسيع الأكمـام وأشـباه ذلك ، من الأمـور الـتي لم تكن في الـزمن الفاضل والسـلف الصـالح، فإنها أمـور جـرت في النـاس ، وكـثر العمل بها وشـاعت وذاعت، فلحقت بالبـدع ، وصـارت كالعبـادات المخترعة الجارية في الأمة »[2]

وقال ابن مفلح : « إن الطيالسة من شعار اليهود ، ولهذا كره لبسها»[3]

وقال ابن مفلح : « روى بقية عن الأوزاعي ، قال : بلغـني أن لبـاس الصـوف في السـفر سـنة ، وفي الحضر بدعة »[4]

ونقل ابن كثير كلام أبي سليمان الداراني : « إذا رأيت الصوفي يتنـوق في لبس الصـوف فليس بصـوفي ، وخيـار هـذه الأمة أصـحاب القطن، أبو بكر الصـديق وأصحابه -‍- »[5]

وذكر ابن كثير أنه : « في رجب - سنة 704 هجرية - أُحضر إلى الشيخ تقي الـدين بن تيميه ، شـيخ كـان يلبس دلقاً[6] كبـيراً متسـعاً جـداً 000فـأمر الشـيخ بتقطيع ذلك الدلق ، فتناهبه الناس من كل جانب ، وقطعوه ، حـتى لم يدعوا فيه شيئاً »[7]

وقد كره علماء السلف ، ما يقدم عليه الصوفية ،من لباس الشهرة واتخاذهم ذلك شعاراً يعرفون به0

---

1 - الطيـالس : قطعة قمـاش تلبس على الكتفين ،وتتـدلى على شـكل ذوائبـتين ، وتكـون طويلة 0 [الموفي ، ص 55]

2 -الاعتصام ، 2/362

3 - الآداب الشرعية ، 3/495

4 - الآداب الشرعية ، 3/498

5 - البداية والنهاية ، 10 /698

6 - الدلق : نوع من اللباس يجعل تحت العباءة الفوقانية ، وقد يكون كالمعطف واسعاً بدون فتحـة سـوى فتحة الكتفين ، ويحـاك من حرير الطـرح الأزرق اللـون ، أو الصـوف الأسـود 0[الموفي ، ص 21]

وذكر الأدفوي أن الصوفي في العرف الخاص : « من يلبس لبسة مخصوصة من دلق أو فرجيـة أو جلنك ، وله عمامة لطيفة يرخي منها عذبة قصيرة من قدامه » [الموفي ، ص 47] 0

وقد ذكر الهجويري أن أكثر لباس الصوفية الملابس الزرقاء وبين سبب ذلك بقوله : « أما معـنى أن أكثـر ثيـابهم زرقـاء ، فمنه : أنهم وضـعوا أصل طـريقتهم على السـفر والسـياحة ، ولا يبقى الثـوب الأبيض في السـفر على حاله ويصـعب غسـله ويطمع فيه كل شخص 0

ثم قال : إن لبس الأزرق شعار أصحاب الوفاة والمصائب ، وهو لأناس رداء الحزن والمحنة ، وخـربة المصـيبة ، ومفـازة الغم 0000فلما رأى المريـدون أنهم لم يبلغـوا مقصودهم في الدنيا ، لبسوا الأزرق ، وجلسـوا في مأتم الوصـال » 0 [كشف المحجـوب ، ص 251]

7 - البداية والنهاية ، 13/442

قال ابن رجب : «فمتى أظهر الإنسان لباس المساكين ، لدعوى الصلاح ليشتهر بذلك عند الناس ، كان ذلك كبراً ورياءً ، ومن هنا ترك كثير من السلف المخلصين اللباس المختص بالفقراء والصالحين ، وقالوا: إنه شهرة »[1]

وبيّن كراهية السلف لاتخاذ لباس الصوف ، وإظهاره شعاراً خاصاً بفئة دون أخرى : « فلهذا كره من كره من السلف ؛ كابن سيرين وغيره لباس الصوف ، حيث صار شعار الزاهدين ، فيكون لباسه إشهاراً للنفس وإظهاراً للزهد»[2]

وقال ابن مفلح : « كان بكر بن عبد الله المزني[3] ، يقول : إلبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية» وقال أيضاً :«كان الحسن يقول: إن قوماً جعلوا خشوعهم في لباسهم ، وكبرهم في صدورهم ، وشهروا أنفسهم بلباس الصوف ، حتى أن أحدهم بما يلبس من الصوف أعظم كبراً من صاحب المِطرف بمطرفه»[4]

وقال ابن مفلح عن اللباس ، الذي يتخذ شعاراً وشهرة :«ويكره شهرة وخلاف زي بلده ، وقيل يحرم 0

وقال شيخنا - أحمد بن حنبل - يحرم شهرة ، وهو ما يقصد به الارتفاع وإظهار التواضع ، كما كان السلف يكرهون الشهرة من اللين المرتفع ، والمنخفض»[5]

وقال الشاطبي : « ومن ذلك -التشدد في الدين - الاقتصار في الملبس على الخشن من غير ضرورة ، فإنه من قبيل التشديد والتنطع المذموم ، وفيه أيضاً من قصد الشهرة ما فيه»[6]

ونقل ابن مفلح : أن التخصص بلبس الصوف مكروه عند جماعة من العلماء [7]

ونقل ابن كثير عن الثوري كراهة لبس ثياب الشهرة ، فقال : «قال الثوري : كانوا يكرهون من الثياب الجياد

---

[1] - اختيار الأولى ، ص 80
[2] - اختيار الأولى ، ص 80
[3] - بكر بن عبد الله المزني ، أبو عبد الله البصري ، ثقة ثبت جليل ، مات سنة 106هـ (تقريب التهذيب ، ص 175)
[4] - الآداب الشرعية ، 3/498 ، و انظر: تفسير القرآن العظيم ، 3/457
[5] - الفروع ، 1/203 ، وانظر: 1/305-306
[6] - الاعتصام ، 1/286
[7] - الفروع ، 1/313

الـتي يشـتهر بها ويرفع النـاس إليه أبصـارهم ، والثيـاب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل دينه»[8]

هذه جهود علمـاء السـلف ، في القـرن الثـامن الهجـري تجـاه اللبـاس والشـعار عند الصـوفية ، بينـوا ما يتفق مع مقاصد الشرع الحنيف ، وما يخالفه ، ويظهر من ردود علماء السلف على لباس الصوفية ، أنهم لا يكرهون لباسـاً معينـاً ، سـواء كـان ثمينـاً ، أو زهيـداً لذاته ، وإنما كـانت الكراهة لما يصـاحب اللبـاس من إيحـاء للآخـرين ، بإظهار الزهد والـورع من خلاله ، وهو مـالم يـرد عليه في الشرع من دليل0

ويتكون من : تمهـيد ، ومبحثين :

التمهيد وفيه : تعريف الرموز والغموض 0

المبحث الأول: الرموز والغموض عند الصوفية 0

المبحث الثاني : جهود علماء السلف في القـرن الثـامن الهجـري، تجـاه الرمـوز والغمـوض ، عند الصوفية 0

التمهيد : تعريف الرموز والغموض 0

[8] - تفسير القرآن العظيم ـ 3/457

أولاً - تعريف الرموز :

أ- الرموز لغة :

الرمـــــوز جمع رمــز ، و « الرمـــز: الإيمـــاء والإشـــارة والعلامة ، والكناية الخفية »[1]

ب- الرموز اصطلاحاً :

« الرمــز : معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر ، لا يظفر به إلا أهله »[2]

وعرف ابن عجيبة الرموز بقوله : «أما الرموز فهي إيماء وأسرار بين المحبوب وحبيبه لا يفهمها غيرهم »[3]

وقد ورد الرمز في التنـــزيل الحكيم في قوله تعـالى:] قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم النـاس ثلاثة أيـام إلا رمزاً 000 [، [آل عمران : 41]

والرمز في الآية المـذكورة ، يعـني : الإشـارة ، والإشارة قد تكون باليد ، وبالعين وبالإيماء بالرأس 0

وقيل : الرمز قد يكون باللسان من غير تبين كلام ، وهو الصوت الخفي [4] 0

ثانياً - تعريف الغموض :

« غَمَضَ المكان غموضاً : انخفض انخفاضاً شديداً حتى لا يرى ما فيه0 وغمض الشيء والكلام : خَفيَ

والغامض : الخفي ، يقال : حسب غامض : غير معروف ، وكلام غامض : غير واضح »[5] 0

---

[1] - المعجم الوسيط ، 1/372 ، باب (الراء) ، وانظر : أساس البلاغة ، ص 251 ، باب(الراء)

[2] - اللمع ، ص 414

[3] - إيقاظ الهمم ، ص 153 0 وقال : « الإشارة أدق من العبارة ، والرمز أدق من الإشارة 0 فــالأمور ثلاثة : عبــارات وإشــارات ورمــوز ، وكل واحد أدق مما قبله ، فالعبــارة توضح ، والإشارة تلوح ، والرمز يفرّح : أي يفرّح القلوب بإقبال المحبوب وقالوا : علمنا كله إشـارة ، فإذا صار عبارة خفي ، أي خفي سره ، فـإذا صـار عبـارة بإفصـاح اللسـان لم يظهر سـره على الجنان » 0 [إيقاظ الهمم ، ص 153]

[4] - تفسـير الخـازن المسـمى لبـاب التأويل في معـاني التنزيل ، تـأليف علاء الـدين علي بن محمد الشهير بالخازن ، ضبطه وصححه : عبد السلام محمد علي شـاهين ، ط1 ، (بـيروت :دار الكتب العلمية 1415هــ) ، 1/244 ، وانظر : تفسـير القـرآن العظيم ، 1/370 ، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تـأليف الإمـام أبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، رتبه وضبطه وصححه : محمد عبد السلام شـاهين ،ط 1 ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415هـ) ،1/ 354-355

[5] - المعجم الوسـيط ، 2/662 ، بــاب (الغين) ، وانظــر: أســاس البلاغة ، ص 456 ، باب(الغين)

المبحث الأول : الرموز والغموض ، عند الصوفية

0

الرموز والغموض سمة بارزة من سمات التصوف ، وقد أشار الصوفية إلى الغاية من استعمال الرموز ، وتعمد الغموض

قال القشيري : « نِعمَ ما فعل القوم من الرموز ، فإنهم إنما فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله - عز وجل - ، أن تظهر لغيرهم ، فيفهموها على خلاف الصواب ، فيضلوا في أنفسهم ، ويُضلوا غيرهم »[1]

وقالوا : « علمنا هذا إشارة ، فإذا صار عبارة خفي »[2]

وقد استدل بعض الصوفية ، على ما يفعلونه من الرموز والغموض بالأبيات الشعرية التالية :

يا رب جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي   يرون أقبح ما يأتونه حسناً
إني لأكتم من علمي جواهره   كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا[3]

وقال الكلاباذي : « من تتبع كتب القوم وفهم إشاراتهم ، علم أن قولهم ما حكيناه عنهم ، فإن هذه المسألة - مسألة الفناء والبقاء - وأمثالها ليست بمنصوصات ولا مفردات ، بل يُعرف ذلك من قولهم ، بفهم رموزهم ، ودرك إشاراتهم »[4]

وبيّن القشيري أن الصوفية يتعمدون الغموض في كلامهم ، حتى لا يفهمه غيرهم ، فقال : « وهم يستعملون

[1] - اليواقيت والجواهر ، للشعراني ، 1/19

[2] - إيقاظ الهمم ، ص 145 ، وقد علق ابن عجيبة على هذه العبارة بقوله :« قد يرخص للعارف الماهر إلقاء الحقائق مع من لا يعرفها بعبارة رقيقة ، وإشارة لطيفة ، وغزل رقيق ، بحيث لا يأخذ السامع منها شيئاً »

[3] - الفتوحات المكية ، 1/70 ، وإيقاظ الهمم ، ص145 ، وتُنسب هذه الأبيات : لزين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -0-

[4] - التعرف ، ص151

ألفاظـــاً فيما بينهم ، قصــــدوا بها الكشف عن معــــانيهم لأنفسهم ، والستر على من باينهم في طـريقتهم ، لتكـون ألفــاظهم مســتبهمة [1] على الأجــانب غــيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها »[2]

وقد وضع الطوسي باباً في كتاب " اللمع " سماه : « شــرح الألفــاظ المشــكلة الجارية في كلام الصــوفية » ، لشدة صعوبتها وغموضها [3]0

« ويرد عن أبي حمدون[4] أنه سئل عن الملامة ، فقــال : إن طريقها صــعب ومغلق على الخلق ، ولكــني أقــول عنها شــيئاً فهـــي: " رجــاء المرجئة[5] ، وخــوف القدرية[6] "، وتحت هذا المعنى رمز»[7]

وقال الهجويري : « لكل المشايخ ، في هذا المعنى - الفناء والبقاء - لطيفة بالرمز »[8]

وقال كذلك : « ولمشـايخ الصـوفية في تحقيق المحبة ، رموز أكثر من أن يمكن حصرها »[9]

وقال القشيري : « يقول مظفر القرمسيني : الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله تعالى حاجة »0

قـال الأسـتاذ أبو قاسم : « وهـذا اللفظ فيه شـيء من الغموض»[10]

ومن الأمثلة التي تبين استعمال الصوفية ، للرموز والغموض ، وفي آن واحد ، ما كتبه الدسـوقي[11] إلى أحد مريديه : « وإنـــني أحب الولد وبـــاطني خلي من الحقد والحسد ، ولا بباطني شظا ، ولا حريق لظى ، ولا جوى[12] من مضى ، ولا مضض[13] غضا ، ولا نكص[14] نصـــــا، ولا ســقط نطا ، ولا ثطب غظا ، ولا عطل حظا ، ولا شـــنب

---

1 - بمعنى : غامضة ، الرسالة القشيرية ، ص 53

2 - القشيرية ، ص 53

3 - اللمع ، ص 409

4 - حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابوري ، شـيخ أهل الملامة بنيسـابور ، ومنه انتشر مذهب الملامية ، توفي سنة 271هـ 0(طبقات الصوفية ، ص123)

5 - لأنهم قالوا : بالإرجاء في الإيمان ، وقـالوا : لا تضر مع الإيمـان معصـية ، وقيل :الإرجـاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يـوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الـدنيا ، من كونه من أهل الجنة ، أو من أهل النار 0 (الملل والنحل ، ص 139 ، والفـرق بين الفـرق ، ص 202)

6 - لأنهم غلوا في إثبات القدر 0 (انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص 797)

7 - كشف المحجوب ، ص 264، وانظر : طبقات الصوفية ، ص 129

8 - كشف المحجوب ، ص 485

9 - كشف المحجوب ، ص554

10 - الرسالة القشيرية ، ص277

11 - إبراهيم الدسوقي القرشي 0(طبقات الشعراني ، 1/165)

12 - جوى : فلان جوى : مرض صدره ، وضاق صدره ، وتطاول مرضه 0 (المعجم الوسـيط ، 1/149)

13 - مضض : أمضّني الوجع والهم 0(أساس البلاغة ص 597)

14 - نكص : على عقبيه نكوصاً 0 (أساس البلاغة ، ص 654)

سرى، ولا سلب سبا ، ولا عتب فجا ، ولا سمداد صدا ، ولا بدع رضا ، ولا شطف جوا ، ولا حتف حرا ، ولا خمش خيش ، ولا حفص عفص ، ولا خفض خنس ، ولا حولد كنس ، ولا عنس[1] كنس ، ولا عسعس[2] خدس ، ولا جيقل خندس ، ولا سطاريس ، ولا عيطافيس ، ولا هطا مرش ، ولا سطا مريش000» [3]

وقال : « 000بهبساني الحداقة سهبري النسافة ، موز الرموز ، عموز النهوز ، سلاحات أفق فردفانية ، أمق شوامق ، اليرامق حيد وفرقيد وفرغاط الأسباط ، ومبيط البساط 000»[4]0

وعلل ذلك بقوله : « إن ألسن القوم ، إذا دخلوا الحضرات مختلفة ، وفي إشاراتهم ، وكلماتهم ، ما يفهم ، وما لا يفهم000»[5]

المبحث الثاني : جهود علماء السلف ، في القرن الثامن الهجري، تجاه الرموز والغموض ، عند الصوفية 0

حذر علماء السلف في القرن الثامن الهجري ، من خطورة لجوء بعض الصوفية ، إلى الرموز والغموض ؛ لأن ذلك يفضي إلى أشياء خطيرة ، ومزالق مريعة ، ويخفي تحته ضلالاً كثيراً 0

[1] - عنس : يدل على شدة في شيء ، وقوة ، وهو من أسماء الناقة 0 (معجم المقاييس في اللغة ، ص 708)

[2] - عسعس : مضى وأظلم 0 (أساس البلاغة ، ص 420)

[3] - طبقات الشعراني ، 1/168 وانظر مثل ذلك من الرموز والغموض في : الفوائد والعوائد ، شهاب الدين حمد بن عبد اللطيف الشرجي 0 ط2(مطبعة مصطفى البابي الحلبي 1388هـ) ، ص 55، وشرح الجلجوتية الكبرى لأبي العباس أحمد بن علي البوني ، (مصر: طبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة) ، ص 110

[4] - طبقات الشعراني ، 1/168 0قلت :هذا كلام يصعب على الأفهام لكثرة رموزه ، وشدة غموضه ، فإن كان أرباب التصوف وقفوا حائرين أمام هذا الكلام ، فكيف الحال بغيرهم ، ولهذا نجد الشعراني عجز عن فهم مثل هذا الكلام ، وهو الناقل له ، فقال في ترجمة شيخه علي الخواص ، بعد أن ذكر طرفاً من كلامه : « 000ثم أطال الكلام في ذلك بما لا تسعه العقول ، فتركته لدقته ، وغموضه » طبقات الشعراني ، 2/169
وقال الهجويري بعد ما ذكر رموز شيوخه في المحبة : « وأذكر قدراً منها على سبيل التبرك » لأنه لم يفهمها 0كشف المحجوب ، ص554، وانظر : حقائق عن التصوف عبد القادر عيسى ، ط5 ، (حلب : مكتبة العرفان ، 1414هـ) ، ص 521 ، وعقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ، تأليف محمود المراكبي ، (القاهرة : مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية ، 1996م)، ص 46، ونشأة الفلسفة الصوفية ، ص77، والمصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، ص 10 ، ونظرية الاتصال عند الصوفية ، ص 220

[5] - طبقات الشعراني ، 1/170

قال الذهبي محذراً من خطورة هذا الأمر : « متى رأيت الصوفي مكباً على الحديث فثق به ، ومتى رأيته نائياً عن الحديث فلا تفرح به ، لاسيما إذا انضافت إليه جهله بالحديث ، عكوفه على ترهات الصوفية ، ورموز الباطنية »[1]

وقال في ترجمة ابن الأعرابي : « 000كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة زل عن سواء السبيل ، وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئاً من اصطلاحات القوم إلا بحجة »[2]0

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه ، في بعض الألفاظ التي يستعملها بعض الصوفية : « 000إنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم ، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة ؛ بل وهم أيضاً لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ، ولهذا يتناقضون كثيراً في قولهم»[3]

وقال الأدفوي عن بعض أقسام الصوفية : « وقسم حصل لهم غلو في طريق ابتدعوها ، وعقائد اخترعوها ، ووقفوا مع ألفاظ مزخرفة جمعوها ، فأُدخلوا في جملة الكفار ، وحكم عليهم باستحقاق النار »[4]

وذكر الذهبي أن في إشارات بعض الصوفية ، انحراف واضح عن الدين ، فقال في ترجمة الفارسي : «الشافعي الصوفي 000له تصانيف في إشارات القوم ، فيها انحراف بيّن عن السنة »[5]

وقال كذلك : « 000كذا تُكلم في السلمي ، من أجل تأليف كتابه " حقائق التفسير " ، فياليته لم يؤلفه ، فنعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة »[6]

---

1 - السير ، 12/213 ، وانظر : ما ذكره الإمام الشاطبي حول رموز الباطنية في الاعتصام ، 1/207

2 - السير ، 15/410

3 - الفتاوى ، 2/138

4 - الموفي ، ص 70

5 - السير ، 22/180

6 - السير ، 13/442

وأشار الشاطبي ، إلى أن بعض من لا يفهم مقاصد الصوفية في كلامهم لغموضة ، قد يقع في سوء القال ، ولا يفرق بين ما هو جائز وغير جائز [7]

وقال الذهبي في ترجمة النوري : « شيخ الطائفة بالعراق ، وأحذقهم بلطائف الحقائق ، وله عبارات دقيقة ، يتعلق بها من انحرف من الصوفية ، نسأل الله العفو »[2]

ونقل قول أبي عثمان الصوفي : « علوم الدقائق علوم الشياطين ، وأسلم الطرق من الاغترار لزوم الشريعة »[3]

وأكد ابن أبي العز ، أن المنهج السليم والطريق القويم ، هو في : «التعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية النبوية الإلهية »[4]

وبيّن أن ذلك : « هو سبيل أهل السنة والجماعة »[5]

وقال ابن رجب عن رموز الصوفية في أشعارهم : « وإن ذكر في شيء من الأغاني التوحيد ، فغالبه من يسوق ظاهره إلى الإلحاد : من الحلول والاتحاد ، وإن ذكر شيء من الإيمان والمحبة أو توابع ذلك ، فإنما يعبر عنه - بل يرمز له - بأسماء[6] قبيحة ، كالخمر وأوعيته ، ومواطنه وآثاره ، ويذكر فيه الوصل والهجر ، والصدود والتجني ، فيطرب بذلك السامعون وكأنهم يشيرون إلى أن الله تعالى ، يفعل مع عباده المحبين له المتقربين إليه

---

7 - انظر: الموافقات ،4/122-123

2 - السير ، 14/70

3 - السير ، 16/321

4 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 70

5 - شرح العقيدة الطحاوية ، ص 70

6 - من الرموز التي استأثرت بالتكرار عند الصوفية ، رمز المرأة ، و رمز الحب ، ورمز الخمر ، ورمز الطبيعة، فكل هذه الأسماء استخدمت من قبل - بعض - الصوفية كأدوات رمزية للتعبير عن اعتقادات ، أو ظواهر ، أو أحاسيس ، بخلاف الدلالة اللغوية والمعنوية ، للكلمة الأساسية ، مما أوقعهم بانحرافات عقدية خطيرة ، تفضي إلى الخروج من الملة 0

انظر في هذا الخصوص : (فصوص الحكم (القاشاني) ، ص 333 ، ومصرع التصوف ، ص 31، 53، 70 ، 74، 98، 111، 125، ، 143، ، 146 ، والرمز الشعري عند الصوفية ، د: عاطف جودة نصر ، ط1، بيروت : دار الأندلس ، 1983م ، ص 123-162 (رمز المرأة) ، و ص 257-287، (رمز الطبيعة)، و ص 327-340 (رمز الخمر) ، و شعر عمر بن الفارض ، دراسة في فن الشعر الصوفي ، د: عاطف جودة نصر ، عين شمس : مكتبة سعيد رأفت ، 1992م ، ص 112-130 و ص 249-269 ، (الرمز الغزلي ، والحب الصوفي) ، و ص131-143 ، (الرمز الخمري) ، ومجلة البلاغة المقارنة ألِف ، القاهرة : الجامعة الأمريكية ، العدد الخامس ، ربيع 1985م -البعد الصوفي في الأدب ، رمز الخمر في الشعر العربي القديم ، محمد أحمد بريري ، ص 73-92)0

، كما يذكرونه ، فيبعد من يتقـــرب إليه ، ويصد عمن يحبه ويطيعه ، ويعرض عمن يُقبل عليه ، وهذا جهل عظيم»[1]

واستدل ابن القيم على خطورة الرموز والغموض عند الصوفية ، بما نسب إلى أبي سـليمان الـداراني ، من أنه رؤى بعد موته ، فقال : « ما كان شـيء أضر عليَّ من إشارات القوم »[2]

وأحسب مما تقدم أن علماء السلف ، في القرن الثـامن الهجـري ، أدركـوا خطـورة ما تنطـوي عليه رمـوز الصـــوفية ، وغمـــوض عباراتها ، من الضـــلال ، والإبهـــام المتعمد ، في الكلمـات المجملة والمتشـابهة[3] ، لصـرف الأذهـــان عما يقولـون ويعتقـدون ،لأنهم لا يسـتطيعون أن يبيحوا ويظهروا ما يريدون ، ولهذا كـان بعضـهم أذكي من بعض ، فقد قال الشبلي : « كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج ، شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت » [4]0

---

1 - نزهة الأسماع ، ص 88-89
2 - مدارج السالكين ، 2/41
3 - انظر: مجموعة الرسائل والمسائل ، 2/31 ، والسير ، 20/ 441
4 - دراسات في التصوف الإسلامي ، ص 265